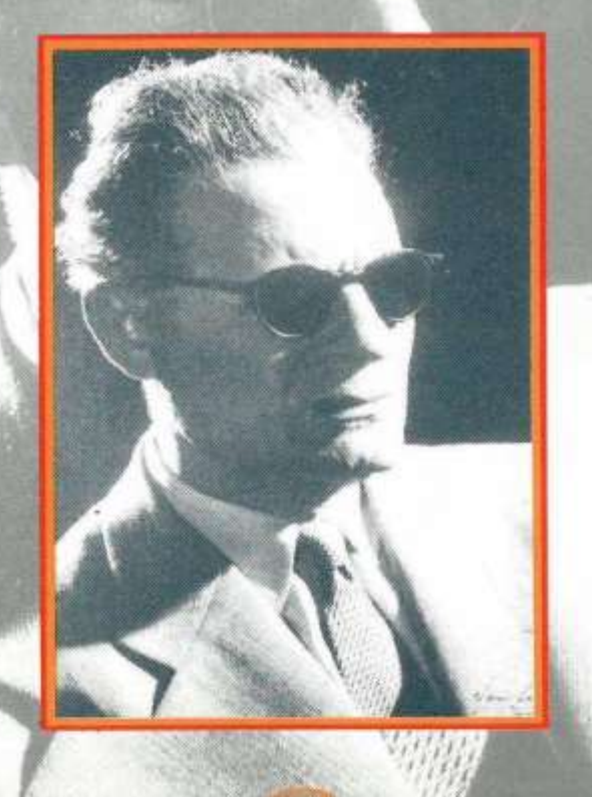
دراسات

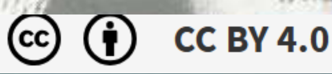
د. توفيق أبو الرب

محاورات طه حسين

الجزء الأول



منشورات وزارة الثقافة



PUBLICATIONS OF THE MINISTRY OF CULTURE

DIALOGUES OF TAHA HUSSEIN

By

Dr. Tawfiq Abul Rub

THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN
AMMAN 1994

تنبيه

(ISBN): 978-3-2768-6082-0



First Edition

P.O.Box 6140 - Tel 696218, 696588, 697687, 697359 Fax. 696598

AMMAN - The Hashemite Kingdom Of Jordan

رقم التصنيف: ٨١٠٫٠٩

المؤلف ومن هو في حكمه: د. توفيق أبو الرُّب

عنوان المصنّف: محاورات طه حسين

رؤوس الموضوعات: ١- الأدب العربي - دراسة ونقد

٢-

رقم الإيـــــداع: (١٣٥٣/١٢/١٩٩٤)

الملاحظـــات: عمان: منشوات وزارة الثقافة

☆ تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(١٣٥٣ / ١٢ / ١٩٩٤)

☆ الصف الضوئي: قسم الكمبيوتر. الإخراج: محمد غازي يعقوب قسم الكمبيوتر / وزارة الثقافة ☆ عدد النسخ (٢٠٠٠) نسخة. ☆ الطباعة : مطابع الرأي

منشورات وزارة الثقافـــــة

محاورات
طه حسين

الجزء الأول

أ.د توفيق أبو الرب (رحمه الله)

المملكة الاردنية الهاشمية - عمان ١٩٩٤

☆ محاورات طه حسين
☆ تأليف: د. توفيق أبو الرُّب
☆ الطبعة الأولى
☆ سنة الطبع ١٩٩٤

الناشر: وزارة الثقا
عمان / الأردن
شارع وصفي التل
ص.ب ٦١٤٠
هاتف: ٦٩٦٢١٨ ، ٦٩٦٥٨٨ ٦٩٧٦٨٧، ٦٩٧٣٥٩
فاكس: ٦٩٦٥٩٨

« إنك يا طـه حسين، ضعيف الخيال، عاجز عن الابداع الادبي، واني أصبحت مستيقناً أن الله تعالى لم يهبك قلم الكاتب، ولا أودعك دهاء السياسي، ولا خصك بفهم الحكيم...»

«مصطفى صادق الرافعي»
«تحت راية القرآن»

«إيهِ طـه حسين ! ... أيّ ضمان انت في الشرق لحياة الفكر والبيان ؟ إنك لاتلمس شيئاً حتى ينقلب الى حق، حق كبير، يبتلع كل رأي، يلقف كل حجة، تلك عصا الاستاذية، ماكنت أجهل انك حاملها في هذا العصر ! ...»

«توفيق الحكيم»
مجلة الرسالة ١٩٣٣

«... أسلوب طـه حسين غير كتابي، وانما هو أسلوب خطابي، وهو مع هذا يفتقر الى مزايا الخطابة افتقاره الى مزايا الكتابة، وأظهر عيوبه التكرار والحشو، وما هو منهما بسبيل ...»

«ابراهيم المازني»
«قبض الريح»

«... أسلوب طـه حسين هو أول أسلوب من نوعه في الأدب العربي، ليس فيه محاكاة لأسلوب آخر في اللغات الأوروبية، قد استقل بابتداعه طـه حسين، ولو غضب المنكرون ...»

«عباس العقاد»
مجلة الهلال ١٩٣٥

«... أدب الملوك والأمراء، والباشوات هو هذا الأدب، الذي يدعو اليه الدكتور طـه حسين ...»

«سلامه موسى»
«الأدب للشعب»

«... طـه حسين استطاع بشخصيته وثقافته وبما كتبه أن يضع أمامنا الهدف، الذي يصح أن نتجه إليه، وهو أن ننسج حياة عربية، يكون فيها القيم المحلية، القومية والدينية ويكون فيها القدرة العقلية، التي تصلح لحياة هذا العصر ...»

«د. زكي نجيب محمود»
جريدة الرأي . ١٩٩٣

«... طـه حسين متخلف الفهم في العربية، مضطرب الفكر والمنطق»

«محمود محمد شاكر»

« المتنبي »

«... لقد ظهر في العصر الحديث مفكرون عرب كبار وأعظمهم في رايي هو طـه حسين»

«محمد حسنين هيكل»

جريدة الرأي . ١٩٩٢

«ألا ترى أني ساقط بين كرسيين، كما يقول الفرنسيون، فأنا في الغرب متهم بالتعصب للاسلام، وأنا في الشرق متهم بالمروق منه ...»

« طه حسين »

« نقد واصلاح »

كلمة الناشر

ليس من شك في أن طه حسين كان ظاهرة في تاريخ الأدب العربي الحديث، بآرائه، وأسلوبه، ولغته، ومنهجه. وكثير من الناس مازال يقيس أهمية الأديب أو المفكر بما يثيره نتاجه من حوارات وردود أفعال، ومناقشات، سواء في ذلك من يتفق معه أو من يختلف. ولقد أثار طه حسين حوله كثيراً من تلك الحوارات، والمناقشات، بل والمعارك الفكرية والأدبية في حياته، ومازال هذا الخلاف حوله مستمراً بعد وفاته، ومن المؤكد أنه سيستمر في المستقبل أيضاً.

وحوارات طه حسين مع خصومه، أو محاوريه، تدل على أنه كان يصدر عن اقتناعات محددة تبلورت عنده نتيجة ثقافته وتنوع مصادر معرفته، التي بدأت بدراسة القرآن وعلوم الدين صغيراً على أيدي شيوخ الأزهر، ولم تنته في باريس حين حاز على الدكتوراه من جامعة السوربون، بل استمرت بعد ذلك في النماء والثراء مستفيداً من نتاج الحضارات والعقول والثقافات الإنسانية المختلفة.

وتفرّد طه حسين، يتضح من خلال محاوراته مع اتجاهات مختلفة ومتناقضة أيضاً، فالذين اختلفوا مع طه حسين لم يكونوا نتاج اتجاه محدد أو وجهة نظر واحدة، بل كانوا مذاهب شتّى، وأفكاراً متباينة.

لقد اجتهد المؤلف في محاولته عرض حوارات طه حسين مع مجموعة من مفكري عصره وأدبائه، وربما حاول أن يدعّم من موقف طه حسين، ويسند وجهات نظره في مواجهة خصومه، وربما حاول أيضاً أن يدافع عن طه حسين في

وجه محاولات هؤلاء الخصوم الرد عليه، إلا أن كل هذا لا يمنع من أن نتفق معه أو نختلف. كما اتفق الناس أو اختلفوا مع طه حسين نفسه

ولسنا بالضرورة - بوصفنا ناشرين لهذا الكتاب - متفقين مع ما جاء فيه من آراء، لكننا بالتأكيد مع الجهد الدؤوب، والنتاج الجيد، الذي يستثير الفكر، ويؤدي إلى الحوار الجاد، والموضوعي وصولاً إلى الحقيقة التي لا نشك أنها هدف كل باحث ودارس.

المحتويات

محاورات طه حسين
(الجزء الاول)

الصفحة

الصفحة

محاورات طه حسين
(الجزء الثاني)

الصفحة

«.. لم يخطر لي قط على بال أن اختلاف الرأي في مسألة من المسائل العلمية أو الأدبية أو السياسية يمكن أن يسوء أحداً من المختلفين، ولو عرفت ذلك لما اذعت في الصحف حرفاً واحداً منذ أخذت التحدث الى الناس فيها ..».

طه حسين ١٩٣٧

رأي طه حسين في الحوار النقدي

كان طـه حسين يؤمن بجدوى الحوار النقدي الهادف، الذي تتوفر فيه أسباب العلم والأدب، ولا يجنح الى أسلوب التجريح الشخصي والملاحاة، وكان يريد لهذا الحوار أن يتمّ في جوّ من الهدوء والاحترام المتبادل، ونبل المقصد العلمي، وحسن الاستعداد للاقتناع والقبول، قائلاً : «... لاعدّ الاختلاف في رأي من الآراء الادبية والثقافية مصدراً من مصادر الخصومة واللّجاج»[1].

أما إذا ثارت الخلافات الشديدة في أثناء المحاورات، فكان يسميها دائماً (خصومات) ادبية أونقدية، ولا يسميها البتة (معارك)، على نحو ما اوحى الرافعي لتلاميذه، فأشاعوا التسمية، بكل ما فيها من تهويل واثارة[2]، وكان يرى أنّ الخلافات النقدية أو الخصومات

(١) خصام ونقد : ص٦٨

(٢) جعل الرافعي عنوان رده على طه حسين، حين نقد «رسائل الأحزان» جعله «القنبله الأولى» (انظر تحت راية القرآن، ص١٠٠). ثم جاء تلميذه سعيد العريان فسمّى المحاورات بين الرافعي وطه حسين معارك. (انظر حياة الرافعي، ص١٥٣). ثم جاء أنور الجندي فجمع نصوصاً من محاورات الأدباء وجعل عنوان الكتاب «المعارك الأدبية»، ثم شاعت التسمية، بعد أن استعملها عامر العقاد وسامح كريم وغيرهما.

ينبغي ألّا تولد في نفوس المتحاورين الضغينة ومشاعر العداء، يقول مبيّناً موقفه منها، وهو يتحدث عن خصوماته النقدية المشهورة مع الأدباء من أمثال: العقاد والرافعي والمازني وتوفيق الحكيم: «... كل الناس يعرف أن الخصومة بين الناس وبيني مهما تشتّد، فهي أهون شأناً وأقل خطراً من أن تترك في نفسي أثراً»[1].

ولقد كان يدرك انّ النقاد والأدباء الذين يرحبون بالنقد الادبي البريء من المجاملة قليل جداً، وكان من هؤلاء الذين يقدّرونه حقاً صديقه الدكتور محمد حسين هيكل، ولذا فقد كان ينقده دون مجاملة، وهو مطمئن الى عدم غضبه، على نحو ما نراه يفعل في نقده لقصته «هكذا خلقت»، وكان في العشرينيات قد نقد أيضاً كتابه «جان جاك روسو» فاخذ عليه أن بعض الاخطاء اللغوية والنحوية تعتوره، وأنه يعاني من سوء الطباعة والترتيب[2]، ثم نشر هذا النقد في صحيفة « السياسة »، التي كان يرأس تحريرها هيكل نفسه، وقد جهر طـه حسين خلاله بالردّ الذي يتوقعه من هيكل على نقده إيّاه، قائلاً في يقين: «... أعلم أننا سنتحاور، ونختصم، ثم نتضاحك ...»[3].

ومن المعروف أن طـه حسين قد حاور خلال حياته الأدبية الحافلة كثيراً من الكتّاب في عديد من القضايا الأدبية والفكرية والتربوية، والسياسية، ولا ريب أن أكثر ما يهمّ هذا البحث هـو

(١) خصام ونقد، ص١٤٦ .
(٢) انظر حديث الأربعاء، ص١٠٩ – ١١١، الجزء الثالث
(٣) أنظر المصدر نفسه، ص١١٢، جـ٣ .

محاوراتة الأدبية، على أننا لن نعرض لهذه المحاورات إلا اذا كان لها مساس قوي بالنقد الأدبي خاصة، وكان طـه حسين طرفاً مشاركاً فيها، ولاشك أن أكثر ما يهمّنا في هذه المحاورات هو أن نتعرف رأيه في قضايا نقدية أساسية، كانت - وما زالت - مدار الخلاف بين نقاد الأدب المحدثين.

ولقد كان طـه حسين يريد للدارسين الذين يعرضون لمحاوراته وخصوماته عامة أن يبتعدوا عن الميل والهوى، وأن يكونوا أمناء في إيراد النصوص كاملة غير مبتورة، وان تكون الحقيقه هي بغيتهم، إذ يروي سامح كريم انه ساله في أواخر حياته عن رأيه في دارس متحامل عليه، وقد عرض لإحدى محاوراته، فأجاب في انفعال:« مثل هذا الذي يكتب كمثل من قال: ولا تقربوا الصلاة وسكت متعمداً، مع علمه بأن نص الآية الشريفة: ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»[1]، ثم ضحك وأضاف قائلاً له حين طلب منه مزيداً من الايضاح:« ... الاترى أن صاحبنا هذا يتصيّد لي الأخطاء، وهو أمر ترفضه الموضوعية، وتأباه الدّقة»[2].

وحين ساله: كيف يودّ أن يعرض الدارس لمحاوراته النقدية، لاحظ أنه ردّ ردّاً حاسماً وسريعاً حين قال:«أود أن أراها كما هي، لازيادة فيها ولانقصان، فلا يكون هناك فرق بينها مسجلة الآن او منشورة في الماضي... ولنترك للقارىء فرصة التفكير فيما يقرأ...»[3].

(١) معارك طه حسين الأدبية والفكرية، ص١١
(٢) المرجع نفسه، ص١١ .
(٣) المرجع نفسه، ص١١ .

ومعنى هذا كله أن طـه حسين كان يرى الدارس الذي يتعصّب له كالدارس الذي يتعصب عليه، فكلاهما لديه سواء، لان الواحد منهما يجور عن القصد، وينحرف عن سواء السبيل، على حين يريد له ان يعرض للمحاورات النقدية في براءة من الميل أو الهوى، وأن يكون حراً في تأملها، حتى يتسنى له أن يفكر فيها تفكيراً سليماً، يوصله أخيراً الى الحقيقة، وهي الهدف الاساسي، الذي يجب ان ينشده، دون نظر إلى شخصيات المتحاورين كما أن هذا يعني في الوقت نفسه أنه قد ظلّ تعمره الثقة، ويطمئن إلى سلامة آرائه ومواقفه في هذه المحاورات، حتى آخر سنة من سنوات حياته[1].

ويلاحظ أنّ طـه حسين حين جمع كثيراً من مقالاته النقدية في كتاب «حديث الأربعاء»، قد حرص على أن يثبت فيه نصوص مقالات لادباء حاوروه فيها، من أمثال: رفيق العظم[2]، ومحمد الخضري، ومحمد حسين هيكل، والرافعي[3]، بل لقد أثبت في بداية الجزء الثالث من كتاب « حديث الأربعاء » نصّ مقالة للرافعي، لايعرض فيها له من قريب أو بعيد[4]، ولا ريب أن حرصه على إثبات نصوص هذه المقالات في كتابه ليؤكد صحة ما أورده سامح كريم عنه من جهة، كما أنّ ما أورده عنه في الوقت نفسه يفسّر لنا لماذا حرص على إثبات نصوص المقالات من جهة

(١) ذلك أن الحديث الذي دار بينه وبين سامح كريم حول محاوراته وخصوماته النقدية كان في السنة التي توفي فيها، أي في عام ١٩٧٣، (أنظر كتاب معارك طه حسين الأدبية، ص١٣).

(٢) أنظر «حديث الأربعاء»، ص٥٨، جـ٢ .

(٣) أنظر المصدر نفسه، ص٦٧،١١٥، ٨ - ٩ الجزء الثالث.

(٤) أنظر المصدر نفسه، ص٥ - ٧ ، الجزء الثالث.

اخرى، بل إننا نجده يسوغ لنا السبب الذي دعاه الى إثبات مقالة الرافعي في بداية كتابه السابق بكلام يتطابق في مضمونه وما قاله لسامح كريم[1]، على نحو ما سوف نرى.

أما أهم محاورات طه حسين النقدية فهي موضوع هذا الكتاب، وهي التي نسوقها في الصفحات التالية.

(١) أنظر حديث الأربعاء، ص٥، ج٣ .

محاورة الرافعي

لا ريب أن الخصومة النقدية بين طـه حسين والرافعي هي من أشهر الخصومات النقدية في الأدب العربي الحديث، ويلاحظ انّ جذورها تمتد الى ما قبل سنة ١٩١٤، حين كان طـه حسين الطالب المرموق بالجامعة المصرية القديمة[١]؛ ذلك أن الرافعي نفسه يخبرنا انّ طـه قد عرض في عام ١٩١٢ بالنقد لكتابيه «حديث القمر» و «تاريخ آداب العرب»، وأخذ عليه فيهما غموض الاسلوب، وجهر بانه لم يفهم منهما شيئاً[٢]. كذلك اتهم الرافعي بانه ألحّ على حفني ناصف، حتى اضطره الى أن ينشر مقالة، يثني فيها على كتابه «حديث القمر» مجاملة وتخلّصا، مما دفع الرافعي الى الردّ مكذّباً، فدارت محاورة بين الاثنين على صفحات «الجريدة» في بداية عام ١٩١٣، حتى توقّفت أخيراً حين امسك الرافعي عن الردّ، ومواصلة الحوار[٣].

(١) أنظر «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان، ص١٥١، ط٣

(٢) أنظر كتاب الرافعي «تحت راية القرآن»، ص١٠٠ .

(٣) انظر «معارك طه حسين الأدبية» لسامح كريم، ص٢٩٩

وعندما عاد طـه حسين من فرنسا عام ١٩١٩، انضمّ إلى حزب الأحرار الدستوريين؛ إذ استقل عن حزب الوفد، ثم اصدر هذا الحزب صحيفة «السياسة» في عام ١٩٢٢، فجعل لطـه حسين الإشراف على الصفحات الأدبية. وقد بذل حينئذ جهداً نقدياً لافتاً، اقرّ به انصار خصومه، كسعيد العريان الذي نجده لا يتردّد في القول: «نفخت السياسة الأسبوعية في الأدب روحاً جديدة»[١]، مما جعل الصحيفة تحظى باهتمام الأدباء، فيسعون إلى نشر المقالات فيها، وإهداء كتبهم إليها، ومنهم الرافعي .

وقد نقل محمد سعيد العريان عن الرافعي أنّ أسباب المحاورات والخصومة النقدية التي جرت بينه وبين طـه حسين في صحيفة «السياسة» قد تهيّأت، حين دسّ الرافعي «كلمة إلى طـه يذمّ أسلوبه بما يشبه المدح، ويعيب عليه التكرار وضيق الفكرة ... فنشرها طـه في السياسة قبل ان يستبين مغزاها، وما ترمي إليه، ثم عرف»[٢]، وقال العريان مضيفاً«وتهيّأت أسباب الحرب ولم يبدأ أحد العدوان، وتربص الرجلان في انتظار السبب المباشر لبدء المعركة، ثم أصدر الرافعي «رسائل الاحزان» فسعى راجلاً إلى دار السياسة؛ ليهدي اليها كتابه، وهناك التقى الرافعي، وطـه حسين وجها لوجه، ونظر الرافعي إلى طـه، واستمع طـه الى حديث الرافعي، وتصافح الخصمان، قبل أن يصعدا إلى حلبة المصارعة، ونفخ الدكتور هيكل في صفارة الحكم، وبدأت المعركة»[٣]

(١) حياة الرافعي، ص١٥٢، ط٣ .
(٢) المرجع نفسه، ص١٥٣
(٣) المرجع نفسه، ص١٥٣ .

على هذا النحو يصوّر العريان قضية المحاورة والخصومة بين الاثنين، وقد أوردنا ذلك كلّه لاننا نأخذه بمأخذين مهمّين:

الأول: أنه ينظر الى المحاورة النقدية نظرته إلى حرب أومصارعة، ولذا فهي تحتاج إلى (حلبة) وإلى (صفارة) حكم، على نحو ما رأينا، ولا ريب أن هذه النظرة إلى الحوار النقدي غير علمية البتة، بل هي مرفوضة رفضاً قاطعاً في ميدان الدرس العلمي، وشتان ما بين هذه النظرة ونظرة طـه حسين، الذي رأيناه قبل قليل يقول:«لا أعدّ الاختلاف في رأي من الآراء الأدبية والثقافية مصدراً من مصادر الخصومة واللجاج».

وأما المأخذ الثاني فهو وقوعه في اكثر من خطأ علمي حين أورد عن الرافعي ما أورد، ثم ذهب إلى أن «رسائل الأحزان» كانت هي بداية المحاورات النقدية العنيفة بين الأديبين، والغريب ان سامح كريم حين عرض للخصومة الأدبية بين الرافعي وطـه حسين لم يتنبه إلى خطأ العريان، بل لقد جاراه فيه، حين عدّ أيضاً «رسائل الأحزان» هي بداية المحاورات النقدية بينهما، بعد عودة طـه حسين من فرنسا[1]، والوحيد الذي تنبّه إلى خطأ ما أورده العريان هو طـه نفـــسه - فيما نظن -، ولكنّه لم يعرض له في صراحة أو مباشرة، ومن هنا خفي الامر على الدارسين.

رسالة العتب وبداية الحوار :

لقد قلنا: إنّ طـه حسين قد حرص في بداية الجزء الثالث من

(١) انظر كتابه «معارك طه حسين الأدبية والفكرية»، ص٢٩٩ .

كتاب «حديث الأربعاء» على أن يثبت مقالة للرافعي لا يعرض فيها له من قريب أو بعيد؛ ذلك لأنها رسالة يعاتب فيها أديباً من أدباء الشام[1]. وقد سوّغ طـه حسين ما فعل بقوله مفتتحاً الكتاب: «كان نشر هذا الكتاب (الرسالة) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - في جريدة السياسة مثاراً لجدل عنيف، وخصومة خصبة لها في تاريخ الأدب العربي الحديث أثر أي أثر، لذلك رأيت أن أثبت نص هذا الكتاب، ليستطيع القارئون من الشباب، الذين لم يشهدوا هذه الخصومة أن يتتبعوها واضحة جليّة»[2].

ولعلنا لاحظنا أنّ ما يذهب إليه طـه حسين هنا، شبيه بما قاله لسامح كريم في أواخر حياته، حين سأله كيف يود أن يعرض الدارس لمحاوراته وخصوماته النقدية، فطـه حسين يجهر برغبته في أن تطلع أجيال الشباب على حقيقة محاوراته كاملة غير مبتورة، واضحة جلية؛ ويخيّل إلينا أنه يردّ من طرف خفي، ودون مباشرة، على ما كان أورده، العريان في كتابه «حياة الرافعي» الذي نشر بعد وفاة الرافعي بسنة، أي في عام ١٩٣٨[3] إذ إن ما نقله عن الرافعي ليس صحيحاً، وانما هو نقيض الحقيقة، لأن طـه حسين هو الذي بدأ الرافعي بنقد أسلوبه الأدبي، وليس الرافعي هو البادىء، ذلك أنه أرسل إلى صحيفة السياسة في عام ١٩٢٣ مقالته التي أثبتها طـه حسين في بداية كتابه، وعنوانها «أسلوب في العتب»، وقد ذهب في

(١) انظر «حديث الأربعاء»، ص٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص٣، جـ٣ .
(٣) انظر «حياة الرافعي»،ص٢٠، ط٣ والمعروف ان ترتيب كتاب «حديث الأربعاء»، قد استقر عام ١٩٤٥

مقدمتها إلى أنه قلدّ فيها أسلوباً أدبياً من أساليب القدماء، التي شاعت منذ القرن الرابع للهجرة قال:«وقد كتبتها من النمط الأول الذي هو فن من زينة البلاغة العربية، يشبه بعض فنون الزخرف والتنسيق، وهو حين يكون في مثل هذه الرسالة لا يكون ابدع منه شيء من الأساليب الأخرى»[1]. وعلى الرغم من ان طـه حسين قد نشر رسالة الرافعي الأدبية، فإنه - بوصفه المحرر الأدبي للصحيفة - قد تناول أسلوبها بالنقد قائلاً: «أما أنا فاعتذر للكاتب الأديب إذا أعلنت مضطراً أنّ هذا الأسلوب، الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة، لايستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث، الذي تغيّر فيه الذوق الأدبي، ولا سيما في مصر، تغيراً شديداً»[2]. ولكن الرافعي لم يشأ ان يترك هذا النقد المقتضب يمر دون أن يردّ عليه؛ لذا فقد أرسل كلمة يردّ فيها، وقد حرص طـه حسين على إثبات نصّها في كتابه أيضاً[3]، إذ راح الرافعي يدافع في رده عن أسلوبه، ذاهباً إلى أنه «كان موضع الانفراد، وكان الغاية التي تتقاصر دونها الأعناق منذ القرن الرابع إلى آخر التاسع»[4]. واذا كان هذا الاسلوب مستهجناً في هذا العصر فليس السبب تغيّر الذوق الأدبي، كما ذهب طـه حسين، وانما يعود الى ضعف الكتاب فيه، وتقصيرهم عن حدّه، فأكثر الكتّاب في هذا العصر لايجيدونه، ومنهم طـه حسين نفسه[5].

(١) حديث الاربعاء، ص٥، ج٣

(٢) المصدر نفسه، ص٧ .

(٣) انظر نص رده في المصدر نفسه، ص٨

(٤) المصدر نفسه، ص٨

(٥) المصدر نفسه، ص٨

فردّ طـه، حسين على الرافعي مقراً بانه لا يجيد أسلوب الزخرف، ولايريد ان يجيده؛ لأنه يؤمن بأن الذوق الادبي في هذا العصر قد تغيّر حقاً، واصبح هذا الذوق الجديد في حاجة إلى أسلوب جديد ايضاً، «يلائم حاجات الناس وحياتهم»[1]، ويُلاحظ انّ طـه قد اخذ على الرافعي من الناحية اللغوية قوله في رده السابق :«هب انّ الذوق تغيّر»[2]، على حين انّ الاسلوب الفصيح يقتضي ان ياتي بعد «هَبْ» الاسم الظاهر، أو الضمير العائد اليه ثم نشر طه حسين بعد هذا الرد في صحيفته مقالة عامة، ناقش فيها الأساليب الادبية، وبيّن خلالها أن الأسلوب الادبي ينبغي ان يناسب العصر الذي يعيش فيه الكاتب، فليس ملائماً أن يصطنع الكاتب المعاصر لغة الجاهليين او الامويين، او العباسيين، ليصور اشياء لم يعرفوها، وضروباً من الحس والشعور لم يحسّوها، ولم يشعروا بها، فاتـخاذ أساليب العصور الخالية نقص ادبي «لأن الكمال الادبي يستلزم أن تكون اللغة ملائمة للحياة، وهو نقص خلقي لأنه كذب للكاتب على نفسه، وعلى معاصريه، وهو نقص من جهة أخرى؛ لأنه لا يدل على أقل من انّ الكاتب ينكر شخصيته، ولا يعترف لها بالوجود»[3].

ثم تحوّل إلى أسلوب الرافعي في رسالة العتب، فحاول ان يحلّل علمياً ما حدث حين عمد فيها إلى ذاك الأسلوب البديعي، قائلاً عنه فيها: «... ليس من شك في أنه لم يشعر كما كتب، ولم يفكر كما كتب، وإنّما شعر بطريقة، وكتب بطريقة أخرى، فلسنا نراه هو في

(١) حديث الأربعاء، ص٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص٨ .
(٣) المصدر نفسه، ص١١ .

كتابه، وإنما نرى في هذا الكتاب تكلّفه ومحاولته الإجادة»[1]. واستدل على هذا التكلف بأن الرافعي يعاتب في رسالته صديقاً، والعتاب يقتضي أن يظهر الصديق لصديقه دخيلة قلبه، وخلاصة نفسه، وصادق مشاعره «لا أن ينسج له نسجاً ليس بينه وبينه صلة»[2].

وهكذا خلص في المقالة إلى أن أسلوب الرافعي متكلّف، لأنه «قديم جداً، لا يلائم العصر الذي نعيش فيه»[3].

وقد ربط بين رسالة الرافعي في العتب وبين مقالة أخرى نُشرت في صحيفة السياسة نفسها بعد أسبوع من نشر رسالة الرافعي، عنوانها «بين الجمال والحب» لطـه عبد الحميد الوكيل[4]، إذ لاحظ أن الكاتب على النقيض من الرافعي قد عمد إلى أسلوب حديث جداً، لكنه «لايلائم العصر الذي نعيش فيه أيضا، وآية ذلك ... أن كثيراً من القراء سيشعرون حين يقرؤون رسالته بشيء من الغموض كثير»[5]، وقد خلص من خلال هذا الربط بين أسلوبي الكاتبين الى أنّ القصد أساس الخير في كل شيء، فليس من الخير أن يتخلّف أسلوب الكاتب عن عصره، كما أنه ليس من الخير أن يستبق الكاتب أسلوب عصره، يقول مظهراً في جلاء موقفه من قضية الأسلوب الأدبي وملاءمته للعصر الذي يعيش فيه الأديـب،

(١) حديث الأربعاء، ص١١
(٢) المصدر نفسه، ص١٢
(٣) المصدر نفسه، ص١٢ .
(٤) المصدر نفسه، ص١٠ .
(٥) المصدر نفسه، ص١٢ .

وهو موقف قائم على الاعتدال: «... لاأمقت القديم، ولا آنف من الحديث، وإنما أرى أني وسط بين القديم والحديث، وأرى أنّ لغتي يجب أن تكون مرآة صادقة لنفسي، ولن تكون لغتي مرآة صادقة لنفسي إذا كانت قديمة جداً، أو حديثة جداً، وإنما هي مرآة صادقة لنفسي، إذا كانت مثلي وَسَطا بين القديم والحديث»[١].

وهو يعرض في هذه المحاورة المبكرة لزعم أدعياء الحداثة في الربع الأول من هذا القرن؛ إذ يذهبون إلى أنّ اللغة العربية الفصحى قد أضحت قديمة جداً، لا تلائم أبناء هذا العصر، ولا تستطيع أن تؤدي ما يحسّونه، ويشعرون به، فيرد عليهم في قوة قائلاً« كلا ليس هذا حقاً، فإن اللغة العربية الفصحى ليست من الموت والجمود بحيث تظنون، وإنما هي كغيرها من اللغات الحيّة مُستحيلة؛ إذا تكلفها أحياء يخضعون لنظام الاستحالة والتطور، حيّة، مستحيلة؛ لأننا نفهمها، ونتخذها وسيلة للتخاطب وتبادل الآراء، فيفهم بعضنا بعضاً دون تكلف ولا عناء»[٢].

على أنه يرى أنّ العربية الفصحى ينبغي أن تسلك سبيلها في الحياة والتطور. دون أن يحول بينها وبين هذا التطور الطبيعي حائل أو «أسلوب قديم كأسلوب الرافعي، ودون أن يفسد عليها هذه الحياة أسلوب حديث جداً كأسلوب طه عبدالحميد الوكيل»[٣]؛ ولذا أهاب بالأدباء المعاصرين أن يتوخوا الدقة في اختيار ألفاظ

(١) حديث الأربعاء، ص١٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٢ .
(٣) المصدر نفسه، ص١٢ .

فصيحة، جلاها الاستعمال، وصقلتها الألسنة، وأن يؤثروا هذه الألفاظ على الألفاظ المبتذلة[١]. ثم تساءل أخيراً، بعد أن جهر برأيه في ما ينبغي أن يكون الأسلوب الأدبي عليه في هذا العصر: ماذا يمكن أن ينكر الرافعي من هذا المذهب الذي يدعو إليه، والذي يقوم على القصد والصدق وحسن الملاءمة[٢]؟

وقد ردّ الرافعي قائلاً: إنه يخشى إذا انتصر مذهب الاعتدال في الأسلوب الأدبي، كما يدعو إليه طه حسين «أن تضعف اللغة ويذوي عودها، وأن يضطر الناس بعد حين إلى أن يترجموا العربية إلى العربية»[٣]، كما سوّغ أنه لجأ إلى الأسلوب البديعي في رسالة العتب، بأنه يخاطب أديباً مثله، وليس واحداً من عامة القراء.

لكنّ طه حسين أجاب بقوله: إنّ الأدباء في رسائلهم، التي ينشرونها لا يتكلّفون، وإنما يصطنعون أسلوباً يفهمه القراء، فالأدباء الأوروبيون من أمثال، «فيكتور هوغو ورينان وبرتلو ولامارتين وفلوبير وبودلير، لم يكونوا يتكاتبون باللاتينية ولابفرنسية القرن السادس عشر ولابفرنسية السابع عشر وإنما بفرنسية القرن التاسع عشر، وذوق القرن التاسع عشر»[٤]، بل إن أدباء العربية القدامى في العصر العباسي كانوا حين يتكاتبون لا يصطنعون ألفاظ رؤبة والعجّاج وأساليب الجفاة من الأعراب، وإنما

(١) حديث الأربعاء، ص١٣ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٣ .
(٣) المصدر نفسه، ص١٧ .
(٤) المصدر نفسه، ص١٧ .

يتحدثون ويكتبون متأثرين بذوق العصرالذي يعيشون فيه[١]، وأما خوفه من أن تضعف العربية إذا ساد مذهب الاعتدال، وأن تموت في النهاية فليس له ما يسوّغه؛ ذلك لأنّ الخطر على العربية في رأي طه حسين يلوح إذا انتصر مذهب الرافعي في الأسلوب، وقد استدل على صحة قوله بأن عامة القراء محتاجون إلى أن تترجم لهم رسالته في العتب، وليسوا محتاجين الى ان تترجم لهم مقالات طـه أو رسائله[٢]، بل يقول له مستدركاً «... ماذا نقول: ليسوا محتاجين الى ان يترجم لهم الجاحظ وابن المقفع، وهم محتاجون الى ان يترجم لهم الاستاذ صادق الرافعي، وسل القراء ينبئوك الخبر اليقين»[٣].

ثم ينهي طـه حسين ردّه مرحباً بالحوار النقدي مع الرافعي، وبدفاعه عمّا وجّه إليه من نقد، وإن كان يأمل منه أن يلتزم في حواره بلين القول، وبالرفق فيه[٤].

خطأ العريان ومغالطة الرافعي :

وقد ردّ الرافعي على النقد، ولكنه لم يدافع عن أسلوبه هذه المرة، وإنما تحول من الدفاع إلى الهجوم على اسلوب طـه حسين نفسه، وهنا ينبغي أن نلاحظ أن هذا الرد هو عينه الذي نقل العريان عن الرافعي أنه (دسّه) الى طـه يذم أسلوبه بما يشبه المدح، ويعيب عليـه التكـرار وضيـق الفكـرة، فنشـره طـه في السياسـة قبل أن

(١) حديث الأربعاء، ص١٧ .
(٢) المقصود مقالات طه حسين ورسائله.
(٣) حديث الأربعاء، ص١٧ .
(٤) المصدر نفسه، ص١٨ .

يستبين مغزاه، وما يرمي إليه، ... ثم عرف ... وتهيّأت اسباب الحرب[١]. والذي يدلّ دلالة قاطعة على أن هذا الرد هو نفسه الذي أشار إليه العريان نقلاً عن الرافعي، أننا نجد الرافعي قد أثبت نصّه في كتابه «تحت راية لقرآن». وقدم له بكلام يتطابق وما نقله العريان عنه، قال في التقديم: «... ترى الكلمة على طريقة السؤال والمداراة، وفي وجه غير النقد أو التصريح، لأن الأستاذ كان يتولّى «صحيفة الأدب» في جريدة السياسة، ... فكان لا يجيز إلاّ ما أراد نشره أو وقع من نفسه موقعاً ... فاحتلنا عليه بتوجيه الخطاب وجهة، لاينفر منها، إن لم يأنس اليها، ولاينكرها، إن لم يقرّها، وجازت عليه الحيلة فوقع فيها، ثم فطن لها بعد»[٢].

والغريب حقاً أننا نقرأ هذا الردّ الذي قدم له الرافعي بما ذكرنا، فنفجأ بأنه هجوم واضح على أسلوب طــه حسين، لايمكن أن يخفى على أدنى القراء ذكاء وفطنة، وآية هذا أن الرافعي في كلمته قد اجتزأ فقرة من مقالة كان طــه قد كتبها حول المعلمين في تلك البرهة التي كانت المحاورة بينه وبين الرافعي قائمةً، وقد اختار هذه الفقرة بعينها، لأن فيها تتكرّر كثيراً كلمات: «المعلمين» و«قصة» و«قضية»، ولأنه أخذ عليه لغويا -قوله فيها: «وليست قصتهم مفزعة مهلعة»[٣]، قال الرافعي بعد أن أثبت الفقرة:«... هذه عشرة أسطر صغيرة دار (المعلمون) فيها عدد أيام الحسوم، وحكيت (القصة) ست مرات، وكان (للقضية) ست جلسات، غير ما هناك

(١) انظر «حياة الرافعي»، ص١٥٣، ط٣ .
(٢) الرافعي «تحت راية القرآن»، ص٩٧-٩٨
(٣) المصدر نفسه، ص٩٩ .

من مفزعة ومهلعة قد أفزعت وأهلعت مرتين»[١]، ومن الواضح أنه قصد بما قال السخرية من التكرار في اسلوب طـه حسين، ثم ختم ردّه بتهكم لاذع قائلاً عن الكلمات التي تكررت في الفقرة: «هذه الكلمات رُقى وطلاسم للتسخير بقوتها وروحانيتها، فاذا قرأ المعلمون هذه المقالة عشر مرات، انحلت المشكلة، وجاءهم الرزق وهم نائمون، ولكن يبقى ياسيدي (طـه) أن تـختم الكلام بعد هذه الهمهمة والغمغمة بقولك: الوحي الوحي، العَجل العَجل، الساعة الساعة ... والسلام»[٢].

وهنا ينبغي أن نتوقّف قليلاً، لنتساءل، ثم نحاول الإجابة في أناة قائلين: ما دام غمز الرافعي في كلمته لأسلوب طـه حسين واضحا، وما دامت سخريته ظاهرة، وما دام قد خطّأه لغوياً إذ قال «مفزعة مهلعة» فكيف (دسّها) لطـه دسّا، فنشرها في السياسة ؟؟ بل كيف جازت الحيلة على طـه حسين، كما ذهب الرافعي ونقل عنه العريان، مع أن الكلمة جليّة لا تتضمن أية حيلة؟ وكيف كان طـه حسين من الغفلة، حتى احتاج إلى من ينبهه إلى مقصد الرافعي من الكلمة؟ يقول الرافعي في هذا: «ثم فطن لها من بعد، نبّهه صديق كنا حكيناها له، فأسرّها في نفسه»[٣].

من الغريب حقا أن أحداً من الدارسين لم يتنبّه إلى هذه المغالطة، وأنّ الوحيد الذي تنبّه اليها هو طـه حسين نفسه، ولكن

(١) تحت راية القرآن، ص٩٩
(٢) المصدر نفسه، ص٩٩ .
(٣) المصدر نفسه، ص٩٨ .

دون أن يشير إليها أية إشارة صريحة، ولذا ظلّت خافية، إذ اكتفى بإثبات نص كلمة في كتابه «حديث الأربعاء» تتكفل بإظهار الحقيقة لاي دارس متامل ذلك انها في حقيقتها كانت ردّا نشر في حينه[١]، على كلمة الرافعي، التي ذهب الى انه دسّها دسّا، وأعمل فيها الحيلة، وكلمة طـه حسين تثبت دون شك انها وكلمة الرافعي كانتا في إطار المحاورة التي دارت حول رسالة العتب، حتى ان طـه حسين قد جعل عنوان ردّه «حول أسلوب في العتب»[٢]، وفيه ذهب الى تعليل هجوم الرافعي على أسلوبه بقوله: «لعله اراد ان يثأر لنفسه، فنقد أسلوبنا كما نقدنا أسلوبه»[٣]، ثم يبين بعد ذلك للرافعي أنه ليس مثله يضيق ذرعا بالنقد، وانما يتقبله شاكراً؛ لانه لايزعم لأسلوبه امتيازا من الأساليب، كما فعل هو في دفاعه عن أسلوبه، يقول طـه حسين في رده على الرافعي ساخراً ومعرّضا: «نتقبل نقده شاكرين متواضعين، لاساخطين ولامجادلين، فلسنا نزعم لأسلوبنا امتيازا من الأساليب، ولسنا نصفه بانه من انواع الزخرف، ولسنا نزعم أنّ الأعناق تقطعت دونه عصورا، ولسنا نزعم أنّ الكتاب غير قادرين على اتقانه،... لسنا نزعم لاسلوبنا شيئا من ذلك، انما نشعر فنكتب، وقد نجيد مرة، ونتورط في الرديء مرة أخرى»[٤].

(١) انظر «حديث الأربعاء»، ص٢٠، جـ٣
وإربط بين نص الكلمة، وكلمة الرافعي التي أثبتها في «تحت راية القرآن»، ص٩٧-٩٩.

(٢) انظر حديث الاربعاء، ص٢٠

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠

والذي يدلّ دلالة قاطعة على ان كلمة طـه حسين هذه هي ردّ على كلمة الرافعي، التي ذهب الى انه دسّها، وموّه عليه فيها، أننا نجد طـه يرد فيها على اشياء محددة وردت في كلمة الرافعي، فقد ذهب الرافعي في كلمته الى انه معني بتتبع اساليب العربية في القديم والحديث، قائلاً: «لأنّ فلسفة ذلك باب من ابواب كتاب أضعه، ولكني في كل ما قرات من بدء اتصال الرواية بالعرب الى اليوم لم اصب مثل هذا الاسلوب الذي تكتب به»[1] ثم يساله متهكما عن السر الذي يدعوه الى اختيار اسلوبه قائلاً: «لا ريب ان الأستاذ قد نحا بهذا نحوا لانعرفه، وقصد الى وجه لم نتبينه، فهو يدلّنا عليه لنجريه فيما اجرينا من اساليب البلاغة، ونؤرخ له في الذوق الجديد»[2]، ونجد طـه يردّ عليه في هذا الامر قائلاً في سخرية: «أما بعد ... فلسنا نحاكي بأسلوبنا أسلوبا آخر قديما او حديثا، ولسنا نتكلف هذه المحاكاة، وانما هي طريقتنا في التفكير وطريقتنا في الإملاء، فاذا اراد الاستاذ ان يقدر هذه الطريقة، ويؤرخ لها في كتابه فنحن شاكرون له عنايته وحسن ظنه، واذا اراد الاستاذ ان يزدريها ويربأ بكتابه عنها فله ذلك، غير ملوم ولا معاتب»[3]، واذا كان الرافعي في كلمته قد اخذ على طـه حسين قوله «مفزعة» و«مهلعة»، فإننا نجد طـه في كلمته قد دافع عن السلامة اللغوية في كلمة (مفزعة) بقوله: «... يأخذنا الاستاذ بكلمة «مفزعة» وليس في «المَفْزعـة» مأخذ فهي كلمـة يرضاها القياس، ويقرّها

(١) تحت راية القرآن، ص٩٩
(٢) المصدر نفسه، ص٩٩ .
(٣) حديث الاربعاء، ص٢٠، ج٣ .

السماع»[1]، كما دافع عن السلامة اللغوية في كلمة «مُهلعة» بقوله: «ويأخذنا الاستاذ بكلمة مُهلعة، وليس في هذه الكلمة مأخذ، فإن كتب النحو، وكتب اللغة سواء منها مايقدر الأستاذ وما لا يقدر تبيح للناس أن يعدوا الافعال الثلاثية بالهمزة قياسا مطردا»[2].

ثم انه لم ينس في معرض ردّه اللغوي ان يذكّر الرافعي بهفوته اللغويه السابقة؛ اذ قال «هَب أنّ الذوق تغيّر»، فقد حاول الرافعي ان يسوغ وضعه «أن» بعد «هَب» بأن هذا قد ورد في ما قاله ابن برّي في مناقضة الحريري، يقول طـه حسين معرضا بهفوة الرافعي اللغوية: «الرجوع الى المعجمات أيسر على الأستاذ في هذه الكلمة (مفزعة) من الرجوع الى هذه المعجمات في وضع «أن» بعد «هَب» وأيسر عليه من تلمس المعاذير ومن تتبع ما قال ابن بري في مناقضة الحريري، ولعل الأستاذ يذكر أنا حمدنا له حسن حظه، إذ وجد من ابن بريّ عاذرا ومقيلا»[3].

وهكذا يتضح لنا في جلاء، ودون أدنى شك، ان كلمة الرافعي ماهي في الحقيقة إلاّ حلقة من حلقات محاورته الاولى لطـه حسين، التي دارت بينهما إثر نشره لرسالته في العتب، وأنّ طـه حسين لم يغفل عن مرماها، ولم تجز عليه الحيلة فيها، وانما ردّ عليها ردّاً مناسباً قويا في حينه، على نحو ما راينا، فالرافعي اذن لم يدسها كما ذهب ونقل عنه العريان.

(١) حديث الأربعاء، ص٢٠ .
(٢) المصدر نفسه، ص٢٠، ج٣
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠

على انّنا ينبغي أن نتساءل هنا : كيف أباح الرافعي لنفسه إذن أن يقول ما قال، وأن يذهب الى ماذهب ؟

إن الالتزام بالحيدة، وبعدم الانحياز إلا الى الحقيقة، دون نظر الى الأفراد، يوجب علينا أن نقول: إننا في تفسير القضية بين احتمالين: إما أن يكون الرافعي قد نسي أمر كلمته، وردّ طه حسين عليها في حينه، وعلاقتها بالمحاورة التي دارت، وذلك لانه نشر كتابه «تحت راية القرآن» بعد عاصفة الشعر الجاهلي عام١٩٢٦، على حين أن الكلمة والرد كانا في عام١٩٢٣، والنسيان اوقعه في وهم ما ذهب اليه، مع ان الكلمة ليس فيها حيلة، وانما فيها تعريض ساخر، وتخطئة لغوية واضحة، وإما انه لم ينس، وانما عمد الى المغالطة والإيهام عمدا، وقصد اليهما قصداً، وممّا يرجح الاحتمال الثاني على الأول أنّ الرافعي نفسه يجهر في إحدى محاوراته لطه حسين بانه قوي الذاكرة جداً، حتى انه يقول له:«... فانا لا اكاد أنسى ما أقول ولا ما يقال لي»[1].

أما محمد سعيد العريان فقد وقع في ثلاثة اخطاء في ما أورده، وعرضنا له، وأول هذه الاخطاء أوقعه فيه الرافعي حين نقل عنه مانقل دون تيقن او تثبّت، وهو يتحمل علمياً تبعة هذا الخطأ؛ لأنه - بوصفه دارسا - كان ينبغي ان يتحقق من صحة ما نقل، حين عرض للخصومة بين الناقدين، وهو يتحمل تبعته مرة أخرى؛ لأن طه حسين حين قام بترتيب أجزاء كتابه «حديث الاربعاء» الترتيب الاخير في الأربعينيات، قد حرص على إثبات نص رده على كلمة

(١) الرافعي،«تحت راية القرآن»، ص١٠٤

الرافعي؛ ليظهر - في صمت تام، ودون ضجيج - باطل ما أورده الرافعي ونقله عنه العريان؛ ولذا كان على العريان ان يتنبه الى الخطأ، وان يبادر الى تصحيحه في اول طبعة جديدة من كتابه «حياة الرافعي» صادفت بعد ذلك، ولكنه لم يفعل(١). كما ان اي دارس آخر لم يتنبه .

وثاني هذه الاخطاء انه ظن - فيما نقل وأوهم قارئه - أن الرافعي هو الذي بدأ بنقد أسلوب طـه حسين، على حين أن طـه كان هو البادىء،كما بيّنا(٢).

وثالث الاخطاء أنه ظن أن المحاورة الاولى بينهما كانت حول رسائل الاحزان، على حين انها كانت حول «رسالة في العتب»، على نحو ما رأينا(٣)، والحق ان المحاورة الأولى التي دارت حول مقالة «أسلوب العتب» كانت اكثر خصباً واتساعا من المحاورة الثانية، التي دارت حول «رسائل الأحزان»؛ لان النقد والردّ خلالها قد تتابعا وتعاقبا، كما اشترك فيها اخيرا عدد من النقاد والأدباء(٤)، وقد انتهت هذه المحاورة بتهديد من الرافعي، وبتحدّمن طـه حسين: أما الرافعي فقد أرسل اليه رسالة خاصة، أنذره فيها بكلمات قد يتناوله بها في صحف أخرى، غير السياسة إذا لم يكفّ عن نقده، أو يمتنع عن نشر مقالات من ينقدون أسلوبه، وطلب منه ألا ينشر الرسالة، غير أن طه حسين لم يتردّد في إفشاء فحواها،

(١) انظر مثلاً الطبعة الثالثة من الكتاب، ص١٥٣ . وقد صدرت عام ١٩٥٥ .
(٢) انظر المرجع نفسه، ص١٥٣ .
(٣) المرجع نفسه، ص١٥٣ .
(٤) انظر حديث الاربعاء، ص١٤، جـ٣

قائلا في تحدّ: «ينذرنا الأستاذ بكلمات قد يتناولنا بها في صحف أخرى، فهل قرأ الأستاذ:

«زَعَمَ الفَرزدقُ أنْ سَيقتلُ مرْبَعاً»

وهل قرأ الأستاذ قول الآخر:

«تمناني ليقتلني زيادٌ»[1]».

على أن الأمر بينهما في المحاورة قد توقف عند هذا التهديد والتحدي؛ ربما لأنّ الرافعي قد شُغل بالرد على الكتاب الآخرين الذي تناولوا أسلوبه في صحيفة السياسة، وبالرد على سلامة موسى الذي هاجمه خلال ذلك في مجلة «الهلال»[2]... وربما لأنه في هذه المحاورة لم يكن قد استيأس بعد من مجاملة طه حسين، وصداقته الأدبية؛ ولذا آثر أن يُبقي على (شعرة) معاوية بينهما، وآية هذا أنه لم يغلظ له القول في ردوده، كما أغلظه في ردوده على النقاد الآخرين، الذين اشتركوا في نقد أسلوبه في العتب، فهو لم يتورع عن الدفاع عن أسلوبه بالشتم واستصغار الشأن، وبوصف الواحد منهم بأنه (عقرب) قاصر، حرمه الله الفقه الأدبي[3]، وآية هذا أيضاً أنه لم يرد على طه حسين، إذ استأنف نقده له، حين عرض للمحاورة

(١) حديث الأربعاء، ص٢١ .

(٢) انظر مقالة سلامة موسى، مصطفى صادق الرافعي «المذهب القديم والمذهب الجديد» مجلة الهلال، ص٤٠٠ - ٤٠٤، الجزء الرابع، السنة الثانية والثلاثون - ١٩٢٣ .
وانظر ردّ الرافعي عليه «دفاع عن المذهب القديم في الادب» مجلة الهلال، ص٤٦٩ - ٤٧٥ . السنة الثانية والثلاثون، الجزء الخامس - ١٩٢٣ .

(٣) حديث الاربعاء، ص٢٢، جـ٣

العنيفة، التي دارت بينه وبين سلامة موسى في الهلال[١]، بل آية هذا أن الرافعي عاد بعد مدة قليلة فأهدى إليه كتابه الجديد «رسائل الأحزان»، ومعه رسالة رقيقة العبارة[٢]

رسائل الأحزان والمحاورة الثانيـــة:

وحين نأتي إلى المحاورة التي دارت حول كتاب «رسائل الأحزان»، نلاحظ أول ما نلاحظ أن سامح كريم، الذي اتصل بـ«طه حسين» في أواخر أيامه، واستأذنه في أن يعرض لخصوماته الأدبية، وراح يستفسر منه ويسأله عنها قد وقع في خطأ ظاهر، إذ عرض لمحاورة رسائل الأحزان، فهو فضلاً عن أنه عدّها الأولى بعد الخصومة النقدية التي دارت حول كتاب «حديث القمر» عام ١٩١٢، قد قال:

«بدأت المعركة من جديد حين نشر الرافعي كتاب (رسائل الأحزان) فهاجمه طه حسين في جريدة السياسة في مايو ويونيه عام ١٩٢٣ في مقالات عدّة»[٣]

فكيف يكون طه قد هاجم الكتاب عام ١٩٢٣، على حين أن الرافعي قد «بدأ كتابه (رسائل الأحزان) في يناير سنة ١٩٢٤، وانتهى منه مساء ١٧ من فبراير سنة ١٩٢٤»[٤]؟

(١) حديث الأربعاء، ص٢٣-٣٠ .
(٢) انظر المصدر نفسه، ص١٢٥
(٣) سامح كريم «معارك طه حسين الادبية»، ص٢٩٩
(٤) محمد سعيد العريان، «حياة الرافعي» ص١٢٧

والصحيح أن المحاورة التي دارت عام ١٩٢٣ كانت حول رسالة «أسلوب في العتب» - كما رأينا - ثم إنّ طه حسين لم يهاجم «رسائل الأحزان» هجوماً في مقالات عدة، وإنما قال فيها رأيه النقدي من خلال مقالة واحدة؛ لأن الرافعي سأله أن يقول هذا الرأي، حين أهداه الكتاب، ومعه رسالة لطيفة يطلب إليه فيها أن يحسن كما أحسن الله إليه، وإلا يبغي[١]، وقد فهم طه حسين منها أنّ الرافعي يلتمس منه أن يثني على كتابه التماساً، يقول: «كان في كتابه أقرب إلى التضرع والتسول منه إلى الوعيد والنذير»[٢] ولكن طه حسين في هذه الحقبة كان يرفع لواء النقد الحر البريء في جرأة وإيمان مدهشين؛ ولذا كان يستوي عنده في هذا النقد خصمه اللدود، وصديقه الحميم وكان إذا شرع ينقد خصماً من خصومه طمأنه بأنه سينسى في أثناء النقد أسباب الخصومة كلها[٣]، على حين كان إذا شرع ينقد الصديق أو النصير، تذكّر أنه قد ينتظر منه المجاملة، فبيّن له أنه يتمنى لو يستطيع ذلك، واعتذر إليه قائلا: «... لكن كيف السبيل إلى المجاملة، وصناعة النقد لا تحتملها ولا ترضاها، وقد أراد الله أن أكون ناقداً، فأراد أن أكون ثقيلاً إذن»[٤].

بهذا الروح النقدي الحر، كان قد تناول قبل أيام معدودة فقط من نقده لرسائل الأحزان خصمه السياسي عباس محمود العقاد[٥]، ونصيره الذي ظاهره على الرافعي في المحاورة السابقة

(١) انظر «حديث الأربعاء» : ص١٢٥، ج٣
(٢) المصدر نفسه: ص١٢٥ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ص٩٦ .
(٤) المصدر نفسه: ص١١٢ .
(٥) المصدر نفسه: ص٩٦، ج٣، وكان العقاد من حزب الوفد، على حين كان طه كاتب حزب الأحرار الدستوريين، وكلاهما عدو للآخر.

سلامة موسى[١]، وصديقه الدكتور محمد حسين هيكل، رئيس تحرير صحيفة «السياسة»[٢]، وها هو ذا يتهيّأ لنقد رسائل الاحزان، وها هي ذي رسالة الرافعي تلتمس منه المجاملة والثناء، وتلوّح له أيضاً من طرف خفي بالتهديد والوعيد، فكيف كان موقفه منها؟ يقول: «.. قد ضحكت من كتابه هذا، وأهملته فيما أهملت، ثم نقدت فلسفته في الجمال والحب «رسائل الاحزان»»[٣].

وقد عاد طه حسين في نقده لرسائل الأحزان إلى مأخذه القديم الحديث على الرافعي، وهو أسلوبه الأدبي، الذي يتكلّفه في رأيه تكلفاً، ويعاني في أثناء تكلفه كل مشقة وعنت، حتى ليخرج هذا الأسلوب غامضاً، لا يكاد يفهم عنه القاريء يقول مصوراً شعوره بإزاء أسلوب الكتاب: «.. كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفسي شعوراً قوياً مؤلماً بان الكاتب يلدها ولادة، وهو يقاسي في هذه الولادة ما تقاسيه الأم من آلام الوضع، ولو أنه ظفر بعد هذه الآلام بما تظفر به الأمهات بعد آلام الوضع، لقلنا: آلام قيمة لها نتائجها الحسنة، وآثارها الخالدة، ولكنه لا يظفر من هذه الآلام بشيء، فأنت لا تجد لذة في قراءة هذه الجمل المتعبة المكدودة التي شقّت على كاتبها، وهي تشق على قارئها»[٤].وهو لهذا قد قرأ الرسائل كلها، لكنه لم يفهم عنها شيئا؛ لانها تبدو غامضة غموضا شديدا، وقد دفعه عدم فهمه للرسائل الى ان يذيع رأيا خطيراً حقا في مذهب

(١) حديث الأربعاء: ص١١٢ – ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه: ص١٠٦، ج٣ .
(٣) المصدر نفسه: ص١٢٥
(٤) المصدر نفسه: ص١١٢، ج٣ .

الرافعي النثري، اذ ذهب الى أنه يتكلف الغموض الشديد ليوهم قارئه بأنه يصور معاني ومشاعر يجدها في نفسه، يقول:«.. أكبر ظني أن الاستاذ الرافعي نفسه لا يحاول ان يقول شيئا حين يكتب هذه الرسائل، انما هو يذهب في النثر مذهبا غريبا، فيتكلف العناء والمشقة في الغوص على المعاني الغريبة، ثم يتكلف العناء والمشقة في ان يسبغ على هذه المعاني ألفاظاً غريبة، حتى اذا تم له من ذلك خلق غريب رصّ هذا الخلق بعضه الى بعض فاتسقت منه رسالة، ثم يستانف العمل، حتى تتسق له رسالة اخرى، ورسالة ثالثة ورابعة، ثم يرصّ هذه الرسائل بعضها الى بعض فيتسق له منها كتاب»[1].

ولاريب انّ لهذا الرأي النقدي خطره على الرافعي، لأن ابداعه الادبي يقوم في الغالب على هذا اللون من الكتابه النثرية كما في كتبه «حديث القمر» و«السحاب الأحمر» و«أوراق الورد».

لقد كان طـه حسين قبل هذا النقد بحوالي أسبوع قد التقى الرافعي في جريدة «السياسة» فصارحه بأنه لايفهم رسائل الاحزان، وحينئذ أجابه: لم تتخذ نفسك مقياسا للناس، أو للعقل الإنساني في الأرض[2]؟ وهو يقصد بهذا أن العلة قد تكمن في طه حسين لا في الكتـاب، وأنّ غيـره من القراء قـد يفهمونـه. وقد أجابه طه حسين عن هذا بقوله: «لست أتـخذ نفسي مقياسا للناس، وإنمـا

(١) حديث الأربعاء: ١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه: ١٢١، ج٣، وقد ذهب الرافعي في رده الى انه لم يقل: «مقياس للناس»: وانما للعقل الانساني في الارض، انظر «تحت راية القرآن»: ١٠٧ .

أتـخذ لنفسي مقياسا لنفسي»[1].

وما من شك أن مطعن الرافعي في حكم طـه حسين النقدي على الرسائل هو منطقي، فقد تكون العلة احيانا في الناقد لا في الكتاب المنقود، ولذا يلاحظ ان طـه حسين حين نقد «رسائل الأحزان» وأصدر حكمه عليها، قد لجا الى اسلوب بديع حقا في القياس النقدي، ليثبت انّ العلة ليست في سوء فهمه وانما هي في كتاب الرافعي، اذ قال يخاطبه: «اني وان لم أتـخذ من نفسي مقياسا للناس فلست من الاميين، ولا من الذين يشق عليهم أن يفهموا الاثار الأدبية القيّمة، واذن فاذا كتبت كتابا لاسبيل الى أن أفهمه فيجب أن يكون في هذا الكتاب عيب حال بيني وبين فهمه، ذلك لاني أقرأ القرآن فافهمه، واقرأ الشعر فافهمه، وأقرأ ضروباً من النثر العربي، والاجنبي فافهمها واقرأ كتابك فلا أفهمه، فيجب أن يكون كتابك شيئا لا كالكتب، ويجب ان يكون مذهبك في الكتابة شيئا لا كالمذاهب»[2].

على أن الرافعي اصرّ في ردّه العنيف الغاضب على النقد على أن العلة لا تكمن في كتابه، وأنما في فهم طـه حسين، إذ انه بدأ رده على هذا النحو: «الى الاستاذ الفهّامة طـه حسين يسلم عليك المتنبي ويقول لك :

وكَم مِن عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتهُ مِن الفَهْمِ السّقيمِ[3]

(١) حديث الاربعاء: ١٢١، ج٣ .
(٢) المصدر نفسه: ١٢١، ج٣ .
(٣) الرافعي «تحت راية القرآن»: ١٠١، ط٤

وقد ذهب الى أن فهم طـه حسين السقيم هو الذي يمنعه من تذوق الأسلوب البياني الاصيل، وما يتضمنه من «دقائق المجازات والاستعارات، والكناية والإشارة ونحوها»[1]. وهو الأسلوب الذي اتبعه الرافعي في رسائله، وأماقوله في نقده إنه يفهم القرآن ولايفهم الرسائل، فيرده الرافعي بقوله: «انا لا أصدّق من هذا شيئا»[2]، «لأن في القرآن حقائق البلاغة ودقائق الإشارات»[3]، ويستدل الرافعي على أن طـه عاجز عن تذوق الأسلوب البلاغي، بأنه يعمد في اسلوبه الى التكرار الممل، كما ان هذا الاسلوب يخلو من الاستعارات والكنايات المستملحة[4]، وإذا كان الأسلوب البياني في نظر الرافعي هو المحك الحقيقي لمقدرة الاديب؛ فإنه في ردّه يتحداه قائلا: «... أفأنت تقوم لي في باب الاستعارة والمجاز، والتشبيه؟... لقد كتبت رسائل الاحزان في ستة وعشرين يوما فاكتب انت مثلها في ستة وعشرين شهراً»[5]، وإذا كان طـه قد ذهب في نقده الى ان الرافعي يشق على نفسه في اسلوبه الكتابي، حتى لكأنه يلد جمله ولادة، فإن الرافعي يرد على هذا النقد قائلا في تحدّ ساخر: «... ها انا اتحداك أن تاتي بمثلها، أو بفصل من مثلها، وان لم يكن الامر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلاّ ولادة وآلاما، من آلام الوضع، كما تقول فعلي نفقات القابلة والطبيبة، متى ولدت بسلامة الله»[6].

(١) تحت راية القرآن: ١٠٩ .
(٢) المصدر نفسه: ١١١
(٣) المصدر نفسه: ١١٢
(٤) المصدر نفسه: ١٠٨ - ١٠٩
(٥) المصدر نفسه: ١٠٤ - ١٠٥
(٦) المصدر نفسه: ١٠٥

وما من شك في أن تحدي الرافعي هذا لطـه حسين مرفوض من الناحية النقدية، لأنه حين يدعوه الى ان يكتب «مثل» رسائله، يدعوه في الحقيقة الى ان يتنازل عن شخصيتة الادبية، لأن لكل أديب أسلوبه المتميز النابع من شخصيته الخاصة، وهو سيتنازل عن سخصيته لانه ينبغي عليه ان يقلد أسلوب الرافعي، حتى يأتي (بمثل) رسائله، مع أنه ينكر هذا الأسلوب، ولايسيغه، والذي يدل على ان هذا التحدي مرفوض من الناحية العلمية أو النقدية، هو ان كل أديب يمكنه أن يوجهه الى الاخر، وهو آمن ان من يتحداه لايستطيع الاستجابة، ولاريب أن الرافعي نفسه لايستطيع ان يأتي بمثل أسلوب طـه حسين وكتابته.

والرافعي يرى طـه حسين ضعيف الخيال، عاجزاً عن الإبداع الأدبي[1]، ولذا ينكر عليه ان ينقد المبدعين، وهنا نلحظ أنه يذهب الى امر مستهجن حقا في ميدان النقد الأدبي، إذ يرى أنه لا يحق لايّ كاتب أن يزاول صناعة النقد الادبي، مهما يكن ذا حس نقدي، او ثقافة واسعة، إذا لم يثبت أولاً أنه يستطيع أن يبدع اثراً ادبياً يضارع في مستواه الفني الاثر الذي ينقده، ولذا فطه حسين في رأيه ليس مؤهلاً ليكون ناقداً، يقول: «انا لا أقول إن الأستاذ طه ليس شيئاً في فضله وأدبه وعلمه، بل هو عندي أشياء كثيرة،' بل هو مكتبة تنطق كتبها، ولكنه لم يلابس صناعة الشعر، ولا أساليب الخيال، ولا أخذ نفسه في ذلك بمزاولة ولا عمل، فليس له أن ينقد هذه الصناعـة، ولا أن يقـول في هــذه الأساليب إلا بعـد أن يجــيء

(١) انظر «تحت راية القرآن»: ١٠٥

بمثل ما يكتب أهلها»[1].

ونحسب أنّ هذا الرأي مرفوض من الناحية العلمية؛ إذ يكفي المرء أن يكون ذا حس نقدي وذوق فني سليم، وثقافة نقدية وأدبية واسعة، ورغبة صادقة في مزاولة العملية النقدية حتى يكون ناقداً، وهذا الرأي مرفوض من الناحية الواقعية أيضاً؛ لأننا لو أخذنا به لحذفنا أسماء أكثر النقاد من تاريخ النقد الأدبي، فالآمدي إذن في الموازنة، ليس مؤهلاً للنقد؛ لأنه قبل وضع كتابه لم يأتِ بشعر في مستوى شعر أبي تمام والبحتري وعبدالعزيز الجرجاني في «الوساطة» ليس مؤهلاً للنقد؛ لأنّ شعره ليس في مستوى شعر المتنبي من الناحية الفنية، ونحو هذا يمكن أن نقوله عن كثير من النقاد القدامى والمحدثين.

لقد كان طه حسين قاسياً حقاً في نقده لرسائل الأحزان، ولكنّ نقده مع هذه القسوة قد ظل في حدود الأدب والعلم، والمنطق، بل لقد علّل هذه القسوة بسبب مشابه للسبب الذي علّل به قسوته في نقد إيليا أبي ماضي خاصة، والشعراء المهجريين عامة؛ إذ ذهب إلى أنّ التهاون في نقدهم قد يغري الشعراء الشباب بتقليدهم، والاستهانة بالعروض واللغة والبيان مثلهم[2]، والتهاون في نقد أسلوب الرافعي قد يغري الشباب بتقليد هذا الأسلوب، يقول معلّلاً قسوته في نقد رسائل الأحزان: «قد يكون من الإسراف في القسوة أن تعرض لعمل كهذا فيه مشقة وعناء ومال، فتعلن أنه غير جيد

(١) تحت راية القرآن: ١١١ . وانظر أيضاً ص٢٤٨ من الكتاب نفسه .
(٢) انظر حديث الأربعاء: ٢٠٠، ج٣ .

وتعلن أنه غير مفهوم، ولكن ما رأيك في أنّ مثل هذه الكتب التي تذاع، وتغلو الصحف في حمدها يتناولها الشبان فيقرؤونها، ويحتذونها فهموها أو لم يفهموها، فتكون لها الآثار المختلفة، في عقولهم وآرائهم وأساليبهم الكتابية؟»[١].

وهو يرى أن لهؤلاء الشبان حقاً على الناقد الأدبي المسؤول؛ إذ عليه أن يلفتهم إلى عيوب هذه الكتب والأساليب، وأن يقول رأيه الصريح فيها، وأن يحذرهم من مغبة تقليدها، وهو لذا يعتذر للرافعي عن قسوته النقدية قائلاً: «أنا مضطر أن أعتذر إلى الأستاذ الرافعي من أني لا أستطيع أن أثني على كتابه، ولا أن أحث الشبان على قراءته»[٢]

على أنّ الرافعي لم يستطع أن يحتمل هذه القسوة النقدية فكان ردّه يمتلىء بالحدة والغضب حتى إنه لم يتمالك نفسه فيه من الجنوح قليلاً إلى أسلوب الشتم والتحقير، ذلك أنه كرّر القول فيه إن طه حسين سقيم الفهم، أو عديمه، نحو قوله يخاطبه موريا: «.. أما النقد فليس هناك إلا أنك لا تفهم»[٣]، ويتجلى عنفه في مخاطبته إذ يقول له: «على أني لو أردت أن آخذ معك في كتابتي هذا المأخذ لجعلتك تتلوى من الكلام المؤلم على مثل أسنان الإبر، ولاستقبلتك بما لا تدري معه أين تذهب، ولا كيف تتوارى، كالإعصار الذي يأخذ عليك الجهات الأربع من آفاقها»[٤].

(١) حديث الأربعاء: ١٢٢ .
(٢) المصدر نفسه: ١٢٢ .
(٣) الرافعي «تحت راية القرآن»: ١٠٦
(٤) المصدر نفسه: ١٠٤ .

وهذا الأسلوب العنيف في الرد قد اضطر طه حسين أيضاً إلى أن يرد رداً يمكن أن نعده أعنف ما كتبه في محاوراته النقدية كلها، وقد نشره مع رد الرافعي السابق في عدد واحد من صحيفة السياسة وقد ذهب في بدايته إلى أنه أباح لنفسه أن ينشر رد الرافعي، على الرغم مما فيه من سفه كثير، وشتم منكر، وتجاوز لحدود الأدب والأخلاق؛ لأنه يرى حقاً للقراء «في أن يظهروا بأنفسهم على أخلاق الكتاب وآدابهم ومناهجهم في الحوار وهم أحياء»[1]، ثم عمد بعد هذا إلى تقريعه تقريعاً مؤلماً، متّهماً إياه بأنه يتهالك على الثناء، حتى إنه ليتسوله تسولاً من الناقد، كما فعل في رسالته التي أرسلها إليه، حين أهدى كتاب «رسائل الأحزان»، وكما حدث حين اضطر حفني ناصف إلى الثناء على كتابه «حديث القمر»[2]. وتتجلى حدة طه حسين إذ يرد على تحدي الرافعي إياه أن يكتب مثل «رسائل الأحزان» فيقول ساخرا «أستغفر الله ومتى أبيح لمثلي من الضعفاء أن ينهض لتقليد الرافعي، اعترف بأنني عاجز عن أن آتي بكتاب ككتاب الرافعي، لأن الله لم يُرد أن أكون غامضاً غموض الرافعي، ولا كاذباً على نفسي وعلى الناس كذب الرافعي، ولا عابثاً بجمال هذه اللغة عبث الرافعي، ولا متسولاً على الناس في المدح والثناء تسول الرافعي، ولا حاقداً على الناقدين حقد الرافعي»[3].

ولا ريب أن ردّ طه حسين كان أكثر حدة وعنفاً من رد الرافعي، فعلى الرغم من أنه لم يسفّ ولم يجنح إلى الشتم، فإنه في الحقيقة

(١) حديث الأربعاء: ١٢٥، ج٣ .
(٢) المصدر نفسه: ١٢٩ .
(٣) المصدر نفسه: ١٢٧ .

قد عمد إلى تجريح الرافعي، والتشهير بعيوبه النفسية التي لها علاقة بالنقد والأدب بل إنه لم يتورع عن وصفه مراراً بأنه «سفيه»[(١)]. وقد لاحظ هو نفسه أن رده لم يدر حول قضايا نقدية، وعلّل هذا بقوله للرافعي وهو يبكّته: «أحسبك لا تطمع في أن أرد على ما في فصلك هذا من رد على ما نقدتك به، فانت لم ترد إلا بشتم وسب»[(٢)] ويمكن القول: إنه في رده قد أفرغ كل ما في جعبته من مآخذ على الرافعي، وصرح بها تصريحاً، بعد أن كان في محاوراته السابقة يلمّح إليها تلميحاً، ونحسب أن الذي دفعه إلى هذا هو استياؤه الشديد منه، وأنه قرّر - فيما يبدو - أن يعرض عن نقده أو الردّ عليه إعراضاً تاماً، وإذن فرده هذا هو الأخير، إذ به توقّفت المحاورة النقدية بين الناقدين الأديبين، أو بعده توقف طه حسين من جانبه عن نقد الرافعي ومحاورته، وقد التزم هذا خلال حياته الأدبية الطويلة، التي امتدت بعد ذلك.

أما الرافعي الذي أمضّه ردّ طه حسين وتقريعه وأهاج طبيعته العنيفة، فلم يتوقّف عن النقد والهجوم؛ إذ راح يتناول خصمه في صحف أخرى غير «السياسة»، وتهيّأ لشنّ حملات شرسة لا هوادة فيها عليه، ولم ينتظر الفرصة المناسبة طويلاً؛ إذ ما لبثت أن واتته في عام ١٩٢٦، حين نشر طه حسين كتابه «في الشعر الجاهلي». فقد فتح حزب الوفد صفحات صحفه لأي كاتب يودّ أن يهاجم طه حسين، كاتب حزب الأحرار الدستوريين، الذي كان في الحكم خلال

(١) انظر حديث الأربعاء: ١٢٥، ١٢٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٩.

هذه الحقبة، فما كان من الرافعي إلا أن هاجمه في أكثر من عشرين مقالة نارية عنيفة، نشرها في جريدة «كوكب الشرق» الوفدية، ثم قام بعد ذلك بجمعها هي ومقالات أخرى في كتاب، جعل عنوانه «تحت راية القرآن». ويعترف سعيد العريان تلميذ الرافعي بأنه في هذه المقالات «لم ينسَ أنّ له ثأراً عند طه، فجعل إلى جانب النقد الأدبي في هذه المقالات شيئاً من أسلوبه المرّ في النقد، ذلك الأسلوب الذي لا يريد به أن يفحم أكثر مما يريد أن يثأر وينتقم»[1] بل يعترف بأن الرافعي فيها قد «نسي كل اعتبار مما تقوم به الصلات بين الناس، فما كان يكتب نقداً في الأدب، بل يصب لهيباً وحمماً وقذائف لا تبقي على شيء»[2].

ولا ريب أن أخطر ما في هذه المقالات، أنه وهو فيها يستعدي عليه الرأي العام، ويستثير الأزهر، قد اجتهد أن يصوّره في صورة المارق من الدين، الذي يدعو شباب الجامعة إلى الزيغ والضلال، يقول في إحدى هذه المقالات، يحرض الجامعة على فَصله: «إن هذا الرجل هو مرآتك في الأمة، فهو رانك إلى طبعه وخلقه، وممثلك بجهله وحمقه، ودافعك بزيغه وإلحاده، فتعالت به حتى فضحك جهله، وأمنت له حتى لبسك كفره، ثم أنت بعد ذلك لا خطأ نفيت، ولا صوابا أتيت، بل ذهبت بنفسك، غروراً منك بأن اسمك الجامعة، وتعصباً لباطل أستاذك الملحد»[3].

(١) «حياة الرافعي»: ١٥٥ .
(٢) المصدر نفسه: ١٥٦ .
(٣) الرافعي: تحت راية القرآن: ٢١٤ .

وتهمة «الإلحاد» هذه، التي قذفه بها، وردّدها كثيراً في مقالاته[1] شاعت خلال الضجة الإعلامية التي صاحبت عاصفة الشعر الجاهلي[2]، كما أنها ما زالت تشيع بين عامة القراء؛ لأن تلامينه من بعده، ما انفكوا يردّدونها.

والغريب أنّ طه حسين لم يردّ على المقالات الهجومية بأية كلمة، وقد عزا بعض الدارسين السبب إلى أنه تلقى من رؤساء حزبه: حزب الأحرار الدستوريين نصيحة بأن يدع العاصفة تمر[3]، ولكن ينبغي أن نلاحظ أيضاً أن الرافعي قد ظل بعد أزمة الشعر الجاهلي يهاجم طه حسين مصرّحاً حيناً[4] ملمحاً أحياناً حتى إنّ آخر مقال أرسله إلى مجلة الرسالة قُبيل موته، كان بعنوان «شيطان وشيطانة»، وقد ردّه رئيس التحرير أحمد حسن الزيات؛ لأن الرافعي يغمز فيه طه حسين وتلميذته سهير القلماوي[5]، ولكننا مع هذا كله نجده لا يرد على الرافعي، ولا يكاد يأتي على ذكره، حتى إننا نلحظ أنه يهمله حيث ينبغي ذكره، وذلك كقوله، وهو يعرض للخصومات الأدبية التي ثارت قديماً بين الأدباء والنقاد المجدّدين وبين المحافظين: «.. ثار العقاد والمازني وشكري وطه حسين بشوقي وحافظ والمنفلوطي والمويلحي، وأمثالهم»[6].

(١) انظر «تحت راية القرآن»: ٣٤٤
(٢) انظر «حياة الرافعي»: ١٥٨ .
(٣) المرجع نفسه: ١٥٧ - ١٥٨ .
(٤) انظر «المعارك الأدبية» لأنور الجندي: ٥٦٨ .
(٥) انظر «حياة الرافعي»: ١٦١ - ١٦٢
(٦) طه حسين «خصام ونقد»: ٦٥

فنحن نلحظ أن إهماله للرافعي هنا متعمد؛ ذلك أنّ الرافعي هو أشهر الأدباء المحافظين الذين تصدوا للمجددين، وفي مقدمتهم العقاد وطه حسين.

سر الخصومة النقدية بينهما:

وبعد... فلا ريب في أنّ الخصومة النقدية والأدبية بين طه حسين والرافعي نتيجة طبيعية لاختلاف شخصيتيهما من حيث تكوين المزاج، والذوق الفني، والثقافة، وما يتصل بها من نظرة إلى الأسلوب والأدب والنقد والمحاورة؛ ذلك أنه أتيح لـ«طه حسين» أن يتقن لغات عدة، وأن تتعادل في شخصيته الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الأوروبية على نحو نادر، وأما شخصية الرافعي فهي لم تستكمل أدواتها الثقافية؛ إذ كان اطلاعه على النقد والأدب الأوروبيين محدوداً، ولم يكن يتقن سوى العربية؛ وقد تجلى لنا الاختلاف في شخصيتيهما في النظرة إلى الأسلوب والنقد خاصة، إذ بينما كان طه يدعو في ميدان التدريس إلى استبدال النقد الحديث بالبلاغة، التي لم تعد ملائمة في هذا العصر، رأينا الرافعي يتحداه في باب الاستعارة والمجاز والتشبيه[1]؛ وبينما كان الرافعي يعمد إلى تقليد الأساليب القديمة، ويرى في احتذائها حياة الفصحى، وكان قبل أن يبدأ الكتابة يقرأ أولا في كتاب قديم للجاحظ أو لأبي الفرج، ليعيش لحظات تمكنه من احتذاء أسلوب كل منهما[2]. رأينا طه حسين يعيب عليه هذا التقليد، ويرى أن أسلوب الأديب ينبغي أن

(١) انظر «تحت راية القرآن»: ١٠٤

(٢) انظر «حياة الرافعي»: ٧٥ .

يكون نابعاً من نغمة نفسه، مصوّراً لطريقة تفكيره وإحساسه، وأن العربية ينبغي أن تنمو، وأن تواكب العصر مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها؛ لأنه كان يعرف اللاتينية وما أصابها؛ ولذا راح ينبهه إلى خطر مذهبه الداعي إلى احتذاء الأساليب القديمة، وإلى الجمود اللغوي وأما من الناحية النقدية فقد كان طـه حسين يؤمن بحرية النقد، على حين كان الرافعي لا يقبل من ناقده سوى الثناء، ويلاحظ ان طـه هو الذي بدأ الرافعي بنقد كتابه «حديث القمر» في عام ١٩١٢، ورسالته في العتب عام١٩٢٣ ورسائل الاحزان عام١٩٢٥، ونحسب أن الرافعي سعى في البداية الى صداقة طـه حسين الأدبية، لأنه كان يكنّ له شيئاً من الإعجاب، ظل يعترف به حتى بعد مخاصمته اياه، كقوله عنه في إحدى الرسائل التي ارسلها الى الشيخ محمود أبي رية: «أما طـه حسين فليس بالضعيف الذي تتوهمه وهو في اشياء كثيرة حقيق بالإعجاب»[1]، ولكنه وهو المحب للمجاملة النقدية والثناء، قد اصطدم في المرات الثلاث بمفهوم طـه حسين للنقد الادبي، حتى استيأس منه اخيرا، وهذا اليأس وذاك الاعجاب واضحان في رده على نقد رسائل الاحزان؛ اذ يقول له يخاطبه:«.. إني والله - على اعجاب كان بك - اصبحت مستيقنا ان الله تعالى لم يهبك الى اليوم قلم الكاتب، ولا أودعك دهاء السياسي، ولا خصّك بفهم الحكيم»[2] ولكنه حين ينس منه، لم يشا ان يتركه، وقد عزّ عليه ان يهز طـه حسين بنقده صورته الادبية امام القراء، وهو الحريص على أن تبدو ممتازة، متفوّقة، مشرقة، ولذا

(١) محمود أبو رية، «رسائل الرافعي»: ١٨
(٢) تحت راية القرآن: ١٠٥

فقد دفعه طبعه العنيف الى مهاجمته بكل وسيلة ممكنة.

وأما طـه حسين فنحسب انه في نقده للرافعي لم يكن يصدر عن تحامل أو كراهية، وذلك انه في المرات الثلاث التي نقده خلالها قد ظل يأخذ عليه مأخذا واحدا بعينه، وهو الأسلوب الغامض الذي يقصد الى تقليد الأساليب القديمة، دون مراعاة لطبيعة العصر، ويبدو ان هدفه الأساسي من محاورته له هو أن يقنعه بالعدول عن الأسلوب الغامض المتكلف، الى الأسلوب الواضح الصادق، النابع من نغمة الشاعر، المصور لطريقة التفكير، الملائم لظروف العصر ولكنه ايضا استيأس منه في آخر الأمر؛ إذ اصطدم بطبعه العنيف الذي يهيجه النقد، ويدفعه الى عدم المبالاة بأدب الحوار خلال الرد، يقول في رده الاخير مصورا حساسيته من النقد: «لقد نقدت الناس من قبل الرافعي، فلم اصانعهم ولم ارفق بهم، وفيهم ضيق الصدر، وفيهم من لا يحتمل النقد ولا يسعه، فلم اجد منهم هذا الالم، ولا هذا السخط، ولا هذا الذي يذهب على الرجل بعقله وصوابه»[1].

ولكنه حين يئس من الرافعي، لم يشأ ان يهاجمه أو يواصل محاورته ونقده، وانما قرر أن يتركه وشأنه، والتزم هذا بقية حياته الأدبية، حتى انه لم يرد على مقالاته الهجومية الكثيرة.

ولقد كان كلّ منهما يشعر في قرارة نفسه أن صاحبه قد ظلمه، وتـجنّى عليه، أما الرافعي فقد أعرب عن حقيقة ما يشعر به، قائلاً عنه «نعرف من صنيع الأستاذ أنه لا ينصفنا مرة إلابعد ان يظلمنا

(١) حديث الاربعاء: ١٢٨، ج٣

مرارا، وأنه اتخذ الوقيعة فينا مذهبا عرف به، وغلب عليه»[1].

وأما طه حسين فيقول في رده الاخير مبينا ان الرافعي قد ظلمه حين لم يقدر الهدف البرىء، من نقده له «لو أنّ للرافعي حظا من الإنصاف لقدّم الي الشكر عليه، ذلك ان الرافعي كغيره من الكتاب يستطيع أن يكتب ما يفهم وأن يقول كلاما يدل على شيء»[2] كما اعرب في سنواته الاخيرة عن شعوره بأن الرافعي قد ظلمه حين هاجمه في أثناء عاصفة الشعر الجاهلي، إذ سجل عنه سكرتيره الدكتور محمد الدسوقي انه قال للشيخ محمود أبي رية، صديق الرافعي القديم، حين زاره في عام ١٩٧٠: «أنا لا أدري بالضبط لماذا هاجمني الرافعي، وكان عنيفاً في هجومه، متحاملاً أشد التحامل، هل ذلك لأني قلت عن بعض كتبه: إنها غامضة غير مفهومة»[3].

موقف الرافعي في أزمة الشعر الجاهلي وعلاقته بالسياسة:

واللافت هنا أن طه حسين قد بقي حتى آخر حياته غير مقتنع بأنّ الخصومة النقدية وحدها هي السبب، الذي دفع الرافعي إلى مهاجمته، والتحامل عليه، حين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي»، مع أنّ هذا هو السبب الشهير، الذي ردّده الدارسون، الذين عرضوا لخصومتهما حتى الآن[4]، وعلى الرغم من أن الدكتور الدسوقي لم

(١) تحت راية القرآن: ١٣١ .
(٢) حديث الاربعاء:١٢٦، ج٣
(٣) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره: ٨٩ .
(٤) نحو كتاب العريان، «حياة الرافعي» ١٥١ – ١٦١
وكتاب «معارك طه حسين الأدبية» لسامح كريم: ٢٩٧ – ٣٠٠

يوضّح لنا السبب الآخر، الذي كان يظنه طه حسين، فضلاً عن الخصومة النقدية، فإنه قال: «ولم ينتهِ العميد والشيخ أبو ريّة إلى رأي يحدّد أسباب الصراع، وهل كان من بينها أسباب سياسية، أم (هل) انها كلها تدور في نطاق الخلاف الفكري»[١] ولكن ما قاله الدكتور الدسوقي يكفي كي يدفع الدارس إلى البحث عن سبب آخر ممكن، له مساس بالناحية السياسية، إذ إن طه حسين لم يكن ناقداً أو أديباً فحسب، وإنما كان رجل سياسة، وكاتباً سياسياً أيضاً، حتى إذا عدنا إلى ما كتبه طه عن حياته، خلال الحقبة التي نشر فيها كتابه «في الشعر الجاهلي»، وجدناه قد ذكر أنّ جهتين سياسيتين كبيرتين، كانتا تناصبانه العداء في عام ١٩٢٦، الأولى حزب الوفد منافس حزبه، الذي كانت له الوزارة في ذلك الوقت[٢]، والجهة الثانية القصر، الذي كان قد تحوّل عنه في هذه الحقبة، وأخذ يسخط عليه؛ لأنه رآه يمضي «في تأييد الدستور الديمقراطي، غَيرَ مُلقٍ بالا إلى القصر، ولا إلى صاحب القصر»[٣]. كذلك نجده يقرّر أن ما أصابه من أهوال في حياته، كان نتيجة لتورطه في السياسة واكتوائه بنارها ليس غير[٤]، فحين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» وجد تينك الجهتين السياسيتين تسعيان معاً إلى تحطيمه، يقول مصوّراً هذا «.. نظر صاحبنا فإذا هو بين عدوين لا يدري أيّهما أنكى له من صاحبه، يراه السّعْدِيُّون مارقاً، قد مالأ المارقين، ويراه القصر كافراً بالنعمة، جاحداً للجميل، ويرى هو أنه قد أرضى

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره: ٨٩ .
(٢) انظر مذكرات طه حسين: ٢٥٦
(٣) المصدر نفسه: ٢٥٩ .
(٤) المصدر نفسه: ٢٦٠ ..

ضميره، وأدّى واجبه، وليكن بعد ذلك ما يكون»[1].

ولكن ما علاقة الرافعي بهاتين الجهتين السياسيتين، اللتين كانتا تناصبان طه العداء، وتسعيان إلى الإضرار به خلال أزمة الشعر الجاهلي؟؟

أما حزب الوفد فنستطيع القول: إن الرافعي لم يكنْ له علاقة به، سوى أنه استغل فرصة فتحه صحفه لكل من يودّ مهاجمة طه حسين خلال الضجة، فكان أن نشر مقالاته الهجومية العنيفة في جريدة «كوكب الشرق» الوفدية الذائعة[2].

وإذن بقي القصر، فهل كانت للرافعي علاقة به خلال مهاجمته طه حسين؟؟

إننا حين نرجع إلى حياة الرافعي، كما كتَبها تلميذه الأثير محمد سعيد العريان، نتنبّه إلى فصل قائم برأسه، عنوانه «شاعر الملك»[3]، وفيه يذكر العريان أن الرافعي كان شاعر الملك فؤاد ومن حاشيته على أن المفاجأة اللافتة حقاً في هذا الفصل، هي أنّ الرافعي قد أصبح شاعر الملك في عام ١٩٢٦[4]، وهو العام الذي حدثت فيه ضجة الشعر الجاهلي، مما يدفعنا إلى التساؤل: هل ثمة علاقة بين اختياره شاعر القصر في هذا العام وبين خصومته المشهورة لطه حسين؟ وهل أمعن الرافعي في التشهير بطه حسين على نحو ما

(١) مذكرات طه حسين: ٢٥٩ .
(٢) العريان، «حياة الرافعي»: ١٥٥ - ١٥٦
(٣) المرجع نفسه: ١٦٨
(٤) المرجع نفسه: ١٧١

هو معروف؛ استجابة لتحريض الملك فؤاد؟؟

إنّ الرافعي في عام ١٩٢٦ لم يكن مشهوراً بشعره وإنّما كان معروفاً بنثره ورسائله، وهو من الناحية الشعرية لا يوازن بشاعر كشوقي أو حافظ إبراهيم، وكان كل منهما لا يزال حياً، وفي أوج شهرته وشوقي شاعر بلاط، له ماضيه العريق، والعريان يذكر أنّ حافظ إبراهيم كان يطمح إلى هذا المنصب، وينافس شوقي فيه، حين اختير الرافعي له[١]، فلماذا وقع اختيار القصر على الرافعي بعينه في هذه السنة بعينها؟ الا يمكن أن يكون قد اختاره ليحارب به طه حسين، وليجعل منه لسانه الذي يحرّض الرأي العام به؟؟

وإذا كان الملك فؤاد قد حرّك كلّ قوة تدور في فلك قصره لتثور بـ«طه حسين» خلال الضجة، فمن المنطقي أن يَدْفَع الرافعي الذي اصطنعه لتحريض الرأي العام وإثارته، ومن الطبيعي أن يستجيب الرافعي لمشيئة صاحب القصر، بل من الغريب الا يستجيب؛ لأن تلميذه العريان يخبرنا انه كان حريصاً على مرتبته الشعرية التي ارتقى إليها، ويزدهي ويدلّ على زملائه بشرف هذا المنصب كذلك كان يصيب منه منافع مادية جمة، كطبع بعض كتبه، وتعليم ابنه في فرنسا على نفقة القصر[٢]، وكان اخوف ما يخاف أن تنقطع عنه هذه المنافع[٣]، وقد بلغ من إعجاب الرافعي بلقب «شاعر الملك» أن ظل يذكره في زهو حتى آخر حياته، وبلغ من حرصه عليه أن هاجم

(١) حياة الرافعي: ١٦٩ .
(٢) المرجع نفسه: ١٧٠ – ١٧١
(٣) المرجع نفسه: ١٧٨

هو معروف؛ استجابة لتحريض الملك فؤاد؟؟

إنّ الرافعي في عام ١٩٢٦ لم يكن مشهوراً بشعره وإنّما كان معروفاً بنثره ورسائله، وهو من الناحية الشعرية لا يوازن بشاعر كشوقي أو حافظ إبراهيم، وكان كل منهما لا يزال حياً، وفي أوج شهرته وشوقي شاعر بلاط، له ماضيه العريق، والعريان يذكر أنّ حافظ إبراهيم كان يطمح إلى هذا المنصب، وينافس شوقي فيه، حين اختير الرافعي له[١]، فلماذا وقع اختيار القصر على الرافعي بعينه في هذه السنة بعينها؟ ألا يمكن أن يكون قد اختاره ليحارب به طه حسين، وليجعل منه لسانه الذي يحرّض الرأي العام به؟؟

وإذا كان الملك فؤاد قد حرّك كلّ قوة تدور في فلك قصره لتثور بـ«طه حسين» خلال الضجة، فمن المنطقي أن يَدْفَع الرافعي الذي اصطنعه لتحريض الرأي العام وإثارته، ومن الطبيعي أن يستجيب الرافعي لمشيئة صاحب القصر، بل من الغريب الا يستجيب؛ لأن تلميذه العريان يخبرنا انه كان حريصاً على مرتبته الشعرية التي ارتقى إليها، ويزدهي ويدلّ على زملائه بشرف هذا المنصب كذلك كان يصيب منه منافع مادية جمة، كطبع بعض كتبه، وتعليم ابنه في فرنسا على نفقة القصر[٢]، وكان أخوف ما يخاف أن تنقطع عنه هذه المنافع[٣]، وقد بلغ من إعجاب الرافعي بلقب «شاعر الملك» أن ظل يذكره في زهو حتى آخر حياته، وبلغ من حرصه عليه أن هاجم

(١) حياة الرافعي: ١٦٩ .
(٢) المرجع نفسه: ١٧٠ – ١٧١
(٣) المرجع نفسه: ١٧٨

عبدالله عفيفي هجوماً عنيفاً دون إمضاء، بمقالات جعل عنوانها «على السفود»؛ لأنه حاول أن ينافسه على اللقب، ونشر بعض القصائد في مدح الملك[١].

والذي يرجّح ما نفترضه: أن سكرتير طه حسين الدكتور محمد الدسوقي ينقل عنه أنه قال: إن الملك فؤاداً قد حلف برأس أبيه خلال أزمة الشعر الجاهلي ليخرجنّه من الجامعة ولكنه عجز عن ذلك[٢]، على حين رأينا الرافعي قبل قليل يحرض المسؤولين في الجامعة على فصله منها محاولاً إقناعهم بأن بقاءه فيها عار عليها، وملحق بسمعتها أفدح الضرر من الناحية الأدبية والدينية[٣]. كما ينقل الدكتور الدسوقي عن طـه حسين ان الملك فؤاداً كان من وراء حملة الازهر عليه خلال الازمة، قال طـه: «سأل عبد الخالق ثروت الشيخ ابا الفضل الجيزاوي وكان شيخ الازهر: ما حكاية هذه الحملة التي يقوم بها الازهر ضد طـه حسين؟ فقال الشيخ: الازهر غير مسؤول عن هذه الحملة فسأله ثروت: ومن المسؤول اذن؟ فقال: الملك فؤاد»[٤].

على حين نجد الرافعي خلال الازمة يحرض في كثير من مقالاته الازهر، ويستثير علماءه[٥]، بل نجده في بعض مقالاته يزهى بانه قد نجح في تحريكهم واستثارتهم[٦]. ولقد قرر العريان ان صيحة

(١) حياة الرافعي: ١٧٥ - ١٨١
(٢) طه حسين يتحدث عن اعلام عصره: ٧٥ .
(٣) انظر «تحت راية القرآن»: ١١٣ - ١١٨، ١٧٠، ٢١٤
(٤) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره: ٧٥
(٥) انظر «تحت راية القرآن» ١٤٤، ١٥٨، ١٩٥
(٦) المصدر نفسه: ١٨٠، وهامش ص١٩٥ .

الرافعي هي التي حركت علماء الازهر[1] واذن من المحتمل او الراجح ان يكون الملك فؤاد قد اصطنع الرافعي وسيلة لاثارة الازهر، ومما يرجح هذا ايضا ان علاقة الرافعي الحسنة بالقصر قد امتدت زمنيا حتى وفاة الملك فؤاد، اي ابعد من المدى الذي حدده العريان في كتابه وهو سنة ١٩٣٠ أو سنة ١٩٣٤[2]؛ ذلك انه حين توفي الملك فؤاد عام١٩٣٦ نجد الرافعي قد رثاه في مجلة الرسالة بمقالة بالغ فيها كل المبالغة في تعداد مناقبه واثبت في حاشيتها قوله عن نفسه في زهو وإقرار، وقد عمد الى اسلوب التجريد: «لجلالة الملك فؤاد - رحمه الله - فضل عظيم على الاستاذ الرافعي، وقد رفع الاستاذ الى سدته العالية اكثر من الف بيت من الشعر، وكان جلالته يعجب به، ويكبر ادبه، وقد امر بطبع كتابه اعجاز القرآن على نفقته الخاصة»[3].

وقد يقول قائل: ولكن الخصومة الادبية بين طـه والرافعي كانت قائمة، قبل نشر كتاب «في الشعر الجاهلي»، وكان الرافعي قد اخذ يهاجمه، فهو لم يكن ينقصه الدافع في اثناء الضجة، التي نجمت عن نشر الكتاب، فنقول: نعم، هذا صحيح، ولكن شتان بين اسلوب الرافعي في الهجوم قبل كتاب الشعر الجاهلي وبين اسلوبه بعده .

أما بُعيد نشر كتاب «في الشعر الجاهلي» فلم يكن الرافعي يكتب

(١) حياة الرافعي: ١٥٧ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ١٦٩، ١٧١ .
(٣) الرافعي، الملك فؤاد، مجلة الرسالة: ٧٦٣، عدد (١٤٩) ١١ مايو - ١٩٣٦ .

نقدا، كما يعترف تلميذه العريان[١]، وانما كان يشهر تشهيرا، وهمه الاكبر استثارة الرأي العام، واستعداء القانون وعلماء الدين[٢]، فكان شانه في هذا الوقت شأن وسائل الاعلام التابعة لجهة سياسية او حزب، وقد نشطت في الهجوم على خصم سياسي في الحكم، مستغلة علاقته بقضية ما، فراحت تروجها له فضيحة مدوية، وتستثير الرأي العام عليه، لإسقاطه وإسقاط حزبه، وآية هذا أن طه حسين لم يستطع أن يرد، أو أن يدافع عن نفسه؛ لأن حزبه قد أشار عليه «أن يترك العاصفة تمر، حتى لا يهزم أنصاره أمام الحكومة وأمام البرلمان»[٣]، ومهما يكن الأمر فلا ريب أن الرافعي هو المسؤول الأول عن تشويه الصورة الدينية لـ«طه حسين» في نظر عامة القراء حتى الآن، ذلك أنه - كما يرى العُريان - هو السبب الأساسي في ضجة الشعر الجاهلي المدوّية كلها، يقول: «لولا ما كان من الخصومة بين الرافعي وطه لما قامت هذه الضجة، ولا ثارت هذه الثائرة، ولما كان في التاريخ الأدبي أو السياسي لهذه الحقبة شيء مما كان»[٤].

وأما أسلوبه قبل نشر كتاب «في الشعر الجاهلي» فقد كان أقرب إلى النقد الأدبي الذي يقوم على الهجوم الشخصي فحسب، دون التفات إلى الرأي العام، أو اهتمام باستثارته واستعدائه؛ إذ يكاد ينحصر هجومه على طه حسين في عيب ذوقه الفني وأسلوبه،

(١) حياة الرافعي: ١٥٦
(٢) المصدر نفسه: ١٥٧ـ ١٦٠
(٣) المصدر نفسه: ١٥٨
(٤) المصدر نفسه: ١٦٠ .

وبصره بالشعر وأساليب البيان، والتشكيك في مواهبه ومنزلته الادبية، وإذا كان طه حسين قد لفته في عام ١٩٢٣ قائلاً: «الناس لا ينقد بعضهم بعضاً، كما كان يتهاجى جرير والفرزدق منذ أحد عشر قرناً»[١]، فإنّ الرافعي لم يلتفت إلى هذا النقد، وإنما اندفع يهاجمه نثراً، بل راح يهجوه شعراً كما كان يفعل جرير والفرزدق، واللافت في هذا الهجاء الشعري انّ الذي كان يمضّه هو رؤية منافسه طه حسين وقد أخذ يتألق نجمه النقدي والأدبي في عام ١٩٢٥، حتى بدا وكانه ناقد مصر أو أديب العصر، وهذا واضح في مطلع أرجوزة أنشأها الرافعي في هجائه، وقدّم لها بقوله: «قد حضرتني الآن ارجوزة صغيرة، أحب أن أهديها لصاحبنا الدكتور طه حسين، ليتقاصر قليلاً، فإنّه لن يخرق الارض، ولن يبلغ الجبال طولا

يا عجباً (طه) أديبُ العَصْـرِ
أصبحَ مثلَ انجلترا في مْصـرِ
أسطولُه يَراعةٌ في [illegible]
وبَحرهُ زجاجةٌ مِن حِبـــرِ
ومُلْكهُ مِترٌ بنصفِ متـــرِ
في مَجلسٍ للدَّرسِ بل لِلهَذْرِ
يَجلسُ فيهِ مثلَ ضَبٍّ الجُحْرِ

(١) حديث الاربعاء: ١٤، ج٣ .

معقّداً من ذَنَبٍ لِغَلَهــــــــرِ
تَعقيدَ من قد خلقوا للمكـــرِ
وَهُبّطوا الدنيا لأمر نُكْـــرِ[1]»

(١) انظر بقية الارجوزة في «تحت راية القرآن» ١٢٦ - ١٢٧ وانظر في الكتاب ص١١٥ حيث يهجوه شعراً ايضا.

محاورة العقاد

في عام ١٩٢٥ كان طه حسين والعقاد خصمين لدودين في ميدان السياسة.

أما العقاد فكان كاتب حزب الوفد، وكان نصيراً مخلصاً لسعد زغلول، حتى وصفه طه حسين في حينه بأنه «سَعْديّ مغرق في السَّعْدِية»[١].

وأما طه حسين فكان من حزب الأحرار الدستوريين، المعادي لحزب الوفد، وكان كاتب الحزب البليغ، الذي لا يتردد في مهاجمة الوفد وزعمائه وهو يخبرنا أنه أتى عليه حين من الدهر، كان ينفق أقصى ما يملك من العنف في مهاجمة الوفديين، حتى إنه كتب ذات يوم في مقالة ساخراً من السعديين:«يقول الوفديون: لا رئيسَ إلّا سعد، كما يقول المسلمون لا إله إلّا الله»[٢].

وأما في ميدان الأدب فكان كل منهما يتزعم مدرسة نقديّة تتميّز

(١) حديث الأربعاء: ٩٥، ج٣
(٢) مذكرات طه حسين: ٢٥٦

من الأخرى: العقاد يتزعم مدرسة الديوان، المتأثرة بالثقافة الانجلوسكسونية، وطه حسين يتزعم مدرسة الاتجاه التكاملي في الدراسات الأدبية[1]، المتأثرة بالثقافة اللاتينية.

وفي هذا العام كان طه حسين المحرر الادبي في صحيفة السياسة، قد ترك دراسة الشعراء القدامى، بعد أن حقّق قدراً كبيراً من الشهرة؛ إثْر دراساته في شعراء المجون العباسيين، والغزليين الأمويين - على نحو ما رأينا - ثم أخذ يتجه إلى ما ينشره زملاؤه الادباء من كتب، فينقد بعضه نقداً حراً، بريئاً، جريئاً، لا يبالي معه بمحاورة أو خصومة، وكان من بين الكتب التي تناولها كتاب «مطالعات في الأدب والحياة» للعقاد.

وقد أكّد طه حسين في بداية تناوله الكتابَ أن نقده الأدبي سيكون بريئاً من الخصومة السياسية، وانه سيجعل خلاف الحزبين دُبُر أذنه وتحت قدمه، ليقول كلمة حق في الأدب، ليس بينها وبين السياسة والأحزاب صلة، وإنْ كان يمقت مذهب العقاد السياسي[2].

ويلاحَظ أن نقده كان معتدلاً حقاً؛ إذ تراوح بين المدح والقدح، فقد أثنى على فهم العقاد للأدب، لأنه يفهمه كما ينبغي ان يُفهَم في العصر الحديث[3]. ولاحظ ايضا انه «قد وفق التوفيق كله لفهم السخرية العلائية»[4]؛ ولذا اعرب عن اعجابه بما كتب عن ابي

(١) د. ناصر الدين الأسد، ذكرى طه حسين: ١٢٩ .
(٢) حديث الأربعاء: ٩٦ - ٩٧، ج٣
(٣) المصدر نفسه: ١٠٢
(٤) المصدر نفسه: ١٠٤

العلاء، خاصة[1]. ولكنه في نقده ايضا سخر سخرية مرة من مقدمة الكتاب، وذهب الى انها غامضة اشد الغموض، لايستطيع العقاد نفسه ان يفهمهما؛ لانها أدق من ان يفهمها عقله[2]، كذلك ذهب الى ان لغة العقاد لاترضيه من كل جهه، «ففيها اهمال، وهي لا تخلو من غموض، مصدرها ان عقل الاستاذ العقاد اطول من لسانه»[3]. وعلى الرغم من اعجابه بدراسته لابي العلاء، فقد انكر عليه القول: ان المعري كان في رسالة الغفران قليل الحظ من الخيال وكانت حجته في هذا الانكار ان الاوروبيين يرون ان دانتي عظيم الحظ من الخيال، وكتابه «الكوميديا الالهية»يشبه من وجوه كثيرة رسالة الغفران، «بل ان من الاوروبيين الآن من يزعم ان شاعر فلورنسا قد تأثر بشاعر المعرة قليلاً او كثيرا»[4] ولقد لفت العقاد الى ان علماء النفس يرون ان اختراع شيء من لاشيء، او التاليف بين اشياء لاائتلاف بينها هو وهم ليس بخيال[5]، كما قد يظن؛ ذلك ان الخيال «لايخترع شيئا من لاشيء، وانما يستمد صوره ونتائجه من الأشياء الموجودة، ويؤلف بينها تاليفا غريبا، يبهر النفس، ويفتنها»[6].

واذن فبحسب هذا المفهوم الحق للخيال يمكن القول: إن «حظ ابي العلاء من الخيال في رسالة الغفران لا حد له»[7]

(١) حديث الأربعاء: ١٠٥ .
(٢) المصدر نفسه: ١٠١
(٣) المصدر نفسه: ١٠٢
(٤) المصدر نفسه: ١٠٣
(٥) المصدر نفسه: ١٠٣
(٦) المصدر نفسه: ١٠٣
(٧) المصدر نفسه: ١٠٣

وقد كان طـه حسين يتوقع ان يكون ردّ العقاد قويا عنيفا؛ ذلك انه في نقده إياه قد تناول كتاباً اخرين، ولكنه لم يسمهم قائلا: «لاني لا اريد ان آضيف خصوما الى خصوم، وحسبي العقاد وانصار العقاد»[1]. بل انه بدأ نقده متظاهرا بأنه خائف من تناوله، قائلا في سخرية: «أما الاستاذ عباس محمود العقاد فأريد ان أنقده، ولكني اعترف بأني خائف متهيب، لأنه مهيب مخوف فلأكن شجاعا، ولأهجم على كتاب الاستاذ في ثبات وأمن»[2].

ولكن المفاجأة كانت ان العقاد قد اكتفى بارسال رسالة الى طـه حسين، تتراوح بين المدح والقدح ايضا، واذا كان طـه قد رد الغموض عند العقاد الى «اسراف في العلم والفلسفة، وقصور اللغة والبيان»[3] فقد اقر العقاد بشيء من هذا، قائلا في رسالته: «... إن صوتي يسمع على ما فيه من نشوز، وأنا اعلم ان في صوتي نشوزا، واحمد الله ان هذا النشوز لايمنع الناس من الاستماع لهذا الصوت، فقد يكون في الاستماع له خير، مهما يكن قليلا فهو خير»[4].

موقف العقاد في أزمة الشعر الجاهلي :

ويبدو ان العقاد لم يرد بمقالة عنيفة؛ لأنه اقتنع بأن طـه حسين قد نحى الخصومة السياسية حقا في نقده، وانه كان صادقا حين قال في مقدمة هذا النقد عنه «سأنقده، وساقول فيه كلمـة

(١) حديث الأربعاء: ١٠٢ .
(٢) المصدر نفسه: ص١٠٠، ج٣ .
(٣) المصدر نفسه: ١٠٢، ج٣ .
(٤) المصدر نفسه: ١٠٦، ج٣ .

الحق والانصاف هذه، وسيكون هذا النقد وهذا الانصاف في جريدة السياسة ، التي تخاصم السعديين، وتزدري سياستهم لان للسياسة الى جانب مذهبها السياسي الحزبي مذهبا آخر تقدسه، وتجد في تقديسه، ... وهو حرية الراي مهما يكن صاحبه، ومهما يكن لونه السياسي»[١]

ولقد ردّ العقاد على هذا ردا اثبت فيه انه ليس أقل من طـه حسين حرصا على الفصل بين ماهو سياسة، وما هو أدب، وأثبت انه ليس اقل منه تقديسا لحرية الراي والنقد، ذلك ان عام١٩٣٦ ما لبث ان جاء؛ ليحمل لطـه حسين محنة الشعر الجاهلي، وقد اسهم حزب الوفد في هذه المحنة اسهاما كبيرا؛ اذ انتهز الفرصة المواتية لإسقاط كاتب بليغ، ما ينفك يهاجمه في عنف شديد[٢]، ولإسقاط حزبه الذي كانت له الوزارة في ذلك الوقت[٣]، ولذا فقد فتح صحفه لكل كاتب يريد ان يهاجم طـه حسين ويشهر به، ويستعدي عليه الراي العام وعلماء الدين، ... واذا العقاد كاتب حزب الوفد، ينحي الخصومة السياسية جانبا، واذا هو يتمرد على إرادة حزبه ورغبته، وإذا هو يقف في البرلمان - وكان نائبا في هذا الوقت - ليدافع عن طـه حسين في محنته، وليدافع عن حرية الرأي والنقد المتمثلة فيه[٤].

وفي عام ١٩٣٢ تعرض طـه حسين لمحنه قاسية ثانية، اذ قام صدقي باشـا، رئيس الوزراء، بفصلـه من الجامعـة، وكان عميـدا

(١) حديث الأربعاء: ٩٦ - ٩٧، ج٣ .
(٢) انظر مذكرات طه حسين: ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩
(٣) انظر المصدر السابق: ٢٥٩
(٤) انظر كتاب «خصام ونقد»: ١٤٦

لكلية الاداب، لانه رفض ان يمنح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية[١]؛ صونا للعلم من ان يخضع لابتزاز السياسة، ولكن الفصل أوقعه في ازمة مالية عسيرة يقول: «أحلت على المعاش دون ان يكون لي معاش ولم تكن كتاباتي السياسية تدر علي شيئا فقد كنت اكتب مجانا، يضاف الى هذا انه لم يكن لدي مال مدّخر، وتعرضت لازمة شديدة، حاولت التغلب عليها بالسلف»[٢].

وقد انتهز حزب الوفد الفرصة مرة ثانية، ولكنه هذه المرة لم يحاول الايقاع بـ طـه حسين، كما حاول في المرة الاولى، وانما حاول ان يستميله الى جانبه، اذ كان حزب الوفد قد تقارب وحزب الاحرار في هذه البرهة، لاسقاط حكومة صدقي باشا، زعيم حزب الشعب؛ ولذا زار مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد طـه حسين، وعرض عليه ان يكون رئيسا لتحرير صحيفة «كوكب الشرق»لقاء مرتب كبير، وقد ظل طـه يرأس تحرير هذه الصحيفة حتى عام١٩٣٤، وهو العام الذي عاد فيه الى الجامعة[٣]. وقد حدث خلال هذه المدة ان تحول عن حزب الاحرار، الى حزب الوفد، فاضحى التقارب بينه وبين العقاد اكثر من قبل بعد ان زالت الخصومة السياسية بينهما.

الناقد اللاتيني والناقد السكسوني :

على ان هذا التقارب السياسي لم يمنعهما من استئناف الحوار

(١) انظر «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»: ٩١ .
(٢) المصدر نفسه: ٩١، والذي يدل على صدق طه حسين ان زكي مبارك قد ذكر ذلك قبل سنوات طويلة من جهر طه به (انظر ديوان «ألحان الخلود» : ٢٤٤ – ٢٤٥).
(٣) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره: ٩١ ٩٢

في ميدان النقد الادبي وقد بدأ هذا الحوار من جديد، حين كتب العقاد في عام١٩٣٣ كلمة ذهب فيها الى ان ثمة مدرستين كبيرتين من مدارس النقد الادبي الحديث في البلاد العربية، وهما مدرسة اللاتين، وشعارها في رأيه الاناقة، ومدرسة السكسون، وشعارها البساطة، كذلك ذهب الى ان الناقد اللاتيني يميل الى المجاملة واللباقة في النقد، على حين ان الناقد السكسوني يعنى بشخصية الاديب، وبحقيقته الانسانية[١].

وقد دفعت هذه التفرقة النقدية طـه حسين الى الرد على العقاد؛ اذ رأى انه قد تورط في خطأ صارخ، وظلم بين، «فليس هناك نقد لاتيني ونقد سكسوني وإنما هناك نقد فحسب»[٢] وحجته ان الذوق الاوروبي كله قد تاثر في الغالب بما احدثته الثقافة اليونانية واللاتينيه فالنقاد الفرنسيون والايطاليون والالمان والانجليز قد تأثروا جميعا بروائع الادب اليوناني واللاتيني، فكون هذا التاثر لديهم ذوقا عاما مشتركا جعل من العسير القول: ان هناك نقدا لاتينيا ونقدا سكسونيا واما قول العقاد: ان الناقد اللاتيني يشبه رجل الصالونات، الذي يقدم الكتاب والشعراء في اناقة ومجاملة وظرف فقد ذهب طه إلى نقضه ضاربا المثل بالناقد سانت بوف الذي كان لا يجامل في النقد الادبي واذن فالعقاد في رأيه قد تعجل، واخطأ في القضية، لانه مال الى التعميم في الاحكام.

وقد رد العقاد على طـه مصرّاً على رأيه، مكررا القول: ان ثمة

(١) العقاد، «شوقي أو أسلوبان في النقد»، جريدة الجهاد عدد ١٦ يناير، ١٩٣٣ .
(٢) طه حسين، «لاتينيون وسكسونيون»، الرسالة. عدد (٢) أول فبراير، ١٩٣٣ .

فرقا بين الناقد اللاتيني والناقد السكسوني، وقد ذهب في هذه المرة الى ان الفرق ناجم من الاختلاف بين الثقافتين: اللاتينية، والسكسونية، ثم دعا طـه حسين الى ان يدرس في مهل واناة النقاد اللاتينيين من امثال: سانت بوف وتين وفاجيه واناتول فرانس؛ ذلك ان دراستهم تؤيد ما ذهب اليه من تفرقة، فهناك حقا مزاج لاتيني ومزاج سكسوني، وهو ما يظهر جليا في فروع الآداب والفنون المختلفه .

وقد ردّ طـه حسين قائلا: ان العقاد قد توسع في القضية؛ إذ انتقل من النقد اللاتيني والسكسوني الى الثقافة اللاتينية والسكسونية ثم راح يفاضل بينهما، على حين أن المفاضلة على هذا النحو الذي ذهب اليه غير جائزة، لانها تقوم على تعصب لثقافة دون اخرى، وقد اكد للعقاد ان النقد اللاتيني مثل السكسوني ما زال نقدا جادا، يقصد الى طبيعة الكاتب او الشاعر في بساطتها، ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل، كما عجب منه لانه ينكر ان النقد الادبي الحديث يقوم على الثقافة الادبية اليونانية واللاتينية، على الرغم من تطوره واختلاف مذاهبه، ولانه ينكر ايضا ان العقل الاوروبي في بيئاته جميعها هو وليد العقل اليوناني والروماني(١).

وهكذا استمرت المحاورة النقدية حول القضية، وقد تمسك كل من الناقدين برأيه: العقاد يميل الى التمييز بين الثقافتين، ويتحرى الفروق الدقيقة بينهما(٢)، وطه حسين ينظر اليهما على انهما وحدة

(١) انظر مقالة لاتينيون وسكسونيون لطه حسين: مجلة الرسالة. العدد (٣): ٤٠-٤٢، ١٥ فبراير،١٩٣٣

(٢) انظر جريدة الجهاد المصرية، عدد ١٤ . فبراير ١٩٣٣، ورد العقاد على طه

واحدة، لان منبعهما واحد ولأن احداهما لاتنفك تؤثر في الاخرى، ولكن أهم ما يلفت في المحاورة ان طبيعتها كانت رقيقة هادئة، حتى ان العقاد المشهور بعنفه في ردوده النقدية، كان يخاطب طه حسين فيها بقوله «صديقنا العلامة» على حين كان طه حسين يرد عليه قائلا « أعاتب الاستاذ العقاد عتابا رقيقا» [١].

وفي عام ١٩٣٥ شرع طه حسين يدرس نماذج من الشعر الجاهلي، وقد تحدى وهو يحلل معلقة لبيد كل من يزعم ان الشعر الجاهلي الحق يفتقر الى الوحدة المعنوية[٢]. ولم يكن يقصد سوى العقاد وزميليه: المازني وشكري لان مدرسة الديوان هي التي ذهبت الى ذلك في الغالب. ولكن العقاد - كما يلاحظ تلميذه عبد الحي دياب - لم يشا ان يرد، أو يدخل وطه حسين في حوار نقدي حول القضية[٣].

رجعة أبي العلاء :

وحين نشر العقاد كتابه «رجعة أبي العلاء» أهدى إلى طه حسين نسخة منه، فقام بنقده،وقد أخذ عليه أنه اهمل فيه النحو بعض الإهمال، فقد جرّ حيث يجب الرفع؛ إذ سال على لسان المعري قائلاً، والمساكين والمستضعفين؟ كما وضع (من) مكان (ما)، على حين ان الأولى تكون للعاقل والثاني لغيره، ثم أنكر عليه أن يتحدث أو

(١) أنظر الرسالة. العدد (٣٣): ص٤١، ١٥ فبراير ١٩٣٣.
(٢) أنظر حديث الأربعاء: ٣٢، جـ١ .
(٣) أنظر كتاب «العقاد ناقداً» لعبد الحي دياب: ٦٦٥، وذلك في مجلة الثقافة، العدد(٣): ص٣-٦، ١٧ يناير، ١٩٣٩

يذكر «حيرة المنبت»، لأن «المنبت» مسرف في الإسراع يعرّض نفسه للعطب، ولا يغني عنه إسراعه شيئاً، فلا حيرة هناك ولا حائر[1].

وقد عرض العقاد في ردّه للمآخذ الثلاثة، فبيّن أنه حين قال في السؤال: «والمساكين والمستضعفين؟» لم ينصب أو يجر حيث يجب الرفع، لأنه يجوز نصب الاسم بتقدير عامل محذوف. واستشهد بقول الشاعر:

«أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا له»

وقد ذهب إلى أن الكلمتين (المساكين والمستضعفين) تجران، لأن التقدير (ما شان المستضعفين) أو (ما بال المستضعفين) أو (إنني أسال عن المستضعفين).

ونلاحِظ هنا أن العقاد لجأ إلى مغالطة واضحة، فقد ذكر أنه يجوز تقدير عامل النصب، وهذا صحيح ولكنه حين قدّر العامل المحذوف، وإذا هو عامل جر - ربما لأنه لم يستقم له تقدير عامل نصب - وقد تناسى أن يَذْكر: أيجوز تقدير عامل جر في هذا الموضع أم لا؟ وإنما قدّر ما قدّر اعتماداً على أنه يجوز تقدير عامل نصب.

والصحيح أنه لا يجوز قياساً تقدير عامل جر محذوف في الجملة الاستفهامية المذكورة، على نحو ما أوهم العقاد، سواء أكان عامل الجر حرفاً[2]، أم كان مضافاً[3].

(١) أنظر مجلة الثقافة: (٣)، ٣-٦، ٤٦، ١٧ يناير ١٩٣٩

(٢) أنظر المواضع القياسية الثلاثة عشر لحذف حرف الجر وبقاء عمله في كتاب «أوضح المسالك» لابن هشام: ١٦٦، ج٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٣) انظر في المصدر نفسه ٢٢٢ - ٢٢٣، المواضع القياسية لحذف المضاف وبقاء عمله.

وإذن فرد العقاد في الحقيقة ردّ ضعيف

وأما المأخذ الثاني وهو وضع (ما) حيث يجب وضع (من) في قوله: «لو أن الأستاذ قد شهد أسراب الطير، وهي تعبر المحيط كل عام فيغرق منها من يغرق، ويسلم منها من يسلم» فقد رده العقاد بقوله: من تستعمل للعاقل وغير العاقل في أفصح الكلام، واستشهد بقول الشاعر:

«أسربَ القَطا هل من يعيرُ جناحَه؟
لعلي إلى من قَدْ هويتُ أطيرُ»[١]

وبقول امريء القيس:

«ألا عِمْ صَباحاً أيّها الطَّللُ البالي
وهل يعمن (منْ) كان في العُصر الخالي»

واستشهد بقوله تعالى: ﴿**ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على أربع**﴾[٢].

ونلاحظ هنا أيضاً أنّ العقاد قد تجاهل المسوّغ في البيتين، والمسوّغ في الآية الكريمة، لوضع (من) مكان (ما). أما المسوّغ في البيتين فهو أنّ كلاً من الشاعرين: العباس بن الاحنف وامريء القيس قد أنزل غير العاقل منزلة العاقل حين ناداه - وكأنه يفهم عنه - «أسرب القطا» و«أيها الطّلل البالي» ولذا قال ابن هشام «نداء

(١) قائل البيت هو العباس بن الاحنف، وهو شاعر عباسي لايحتج بشعره، فالبيت ليس بشاهد وانما هو مثال

(٢) الآية: ٤٥ من سورة النور.

القطا والطلل سوّغ ذلك»[1] وأما المسوغ في الآية الكريمة فهو اقتران غير العاقل بالعاقل في عموم فُصل؛ ولذا قال ابن هشام أيضاً: إنّ مسوّغ الإتيان بمن في قوله تعالى ﴿من يمشي على بطنه﴾ و﴿من يمشي على أربع﴾ هو اقترانهما بالعاقل في عموم (كل دابة)[2].

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن جملة العقاد «لو أن الأستاذ قد شهد أسراب الطير، وهي تعبر المحيط كل عام، فيغرق منها من يغرق ويسلم من يسلم» تفتقر إلى المسوغين السابقين؛ لأنه لم يُنزل غير العاقل منزلة العاقل، ممهّداً لهذا بنداء أو طلب، ولأن غير العاقل في جملته لم يقترن بالعاقل.

وهكذا يمكن القول: إنّ العقاد قد أخطأ لغوياً في جملته، وإنّ تخريجه للخطأ هو في الحقيقة تخريج ضعيف أيضاً.

وأما المأخذ الثالث وهو ذكره لحَيْرة (المنبت) فقد ردّه بقوله: إن المنبتّ يَحار حقاً، لأنه أتلف دابته وانقطع عن صحبه، ولم يصل إلى غايته، وليس هناك مايمنع المنبت من الحيرة. وما من شك أن الحق إلى جانب العقاد هنا؛ لأن المنبت، الذي لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، يحار في أمره ويسقُط في يده؛ إذ لا يدري ماذا يفعل للخروج من مأزقه، وإن كان الحديث عن الاسراف في الإسراع، وإذن فمأخذ طه حسين ليس له ما يسوّغه.

(١) أوضح المسالك: ١٠٧، ج١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٠٧، ج١، وأول الآية: «والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه».

أبو نواس ومنهج التحليل النفسي:

وحين وضع العقاد كتاب «أبي نواس» ذهب إلى القول فيه: إن شخصية أبي نواس هي شخصية «نرجسية» باصطلاح النفسيين المحدثين، على أن نفْهم «النرجسية» فهماً يخالف تعليلات «فرويد»»[١] ثم راح في الكتاب يحلّل شخصية الشاعر القديم تحليلاً نفسياً وفق أحكام النرجسية، كما يفهمها بعض علماء النفس المحدثين[٢].

وقد قام طه حسين بنقد كتاب العقاد، وأخذ عليه أنّه حين حلّل شخصية أبي نواس غالى في ذلك، وأسرف كثيراً حين أجرى «أحكام النرجسية على الشاعر القديم، كما يجريها المحلّلون النفسيون، على من يفحصونهم من الأحياء»[٣]. وإذا كان العقاد قد ذهب إلى أنّ أبا نواس قد شغف بنفسه كما شغف النَّرجس فقد ذهب طه إلى أن ليس هناك شغف ولا نرجسية، وكلّ ما في الأمر أنّ أبا نواس كان يعتدّ بشخصيته اعتداد كثير من الشعراء بأنفسهم، بل ذهب إلى أنّ صاحب الفن «معتدّ بنفسه دائماً إلى حدّ ما، واعتداده بنفسه هذا شرط أساسي للتجويد النفسي؛ لأنه لو لم يعتدّ بنفسه وفنه لم يحفل بالشعر ولم يتأنق فيه ولم يحسن الحكم عليه»[٤].

وخلاصة رأي طه حسين في القضية أنّ التحليل النفسي لا

(١) العقاد: أبو نواس: ٧٥، (المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد)، المجلد السادس عشر، تراجم وسير، دار الكاتب اللبناني - بيروت ١٩٨٠ .
(٢) المصدر نفسه: ٧٦ وما بعدها .
(٣) طه حسين: خصام ونقد: ٢٣٨ .
(٤) المصدر نفسه: ٢٤٠

يجدي في تحليل شخصيات الأموات من الأدباء والفنانين، وإنما يصلح في تحليل شخصيات الأحياء؛ لأنهم يستجوبون، ويمكن إخضاعهم لإجراء الفحوص والاختبارات[١].

وقد ردّ العقاد على نقد طه حسين، فذهب إلى أنّ ثمة فرقاً بين النرجسية والاعتداد بالنفس، كما ذهب إلى أن التحليل النفسي الحديث مناسب أيضاً لتحليل شخصيات المشهورين من القدماء، مثلما هو مناسب لتحليل شخصيات الأحياء، وبعد أن فصّل القول في الأسباب التي تدفعه إلى الاعتقاد بذلك، دعا طه حسين إلى الاطلاع على المزيد من بحوث علم النفس الحديثة، فهذا جدير أن يغيّر رأيه في القضية، وأما نقده إيّاه فهو لم يقنعه البتة بالعدول عن الاستعانة بعلم النفس في تحليل شخصيات الأدباء[٢].

وقد ردّ طه حسين قائلاً: إنه لا ينكر إقحام التحليل النفسي في الدراسات الأدبية، التي تدور حول القدماء عن جهل ببحوث علم النفس. وإنما ينكره «لأن القدماء لا يصلحون موضوعاً للتحليل النفسي إلا على نحو من التجوّز لا يغني عن العلم الصحيح شيئاً»[٣] ثم أخذ يبيّن للعقاد شيئاً من معرفته أو اطلاعه على ألوان مختلفة من الدراسات النفسية الحديثة[٤]، ولفته إلى أنه حين كان عميداً لكلية الآداب جعل دراسة علم النفس التجريبي جزءاً أساسياً من الدراسات الفلسفية في الكلية، كما دعا أستاذ علم النفس التجريبي

(١) خصام ونقد: ٢٣٨ .
(٢) انظر رد العقاد: جريدة «أخبار اليوم» – العدد (٤٧٦) ٢٧ فبراير، سنة ١٩٥٤ .
(٣) خصام ونقد: ١٠٣ .
(٤) المصدر نفسه: ١٠٣، وما بعدها.

المشهور «دوما» لإلقاء عديد من المحاضرات[1]، ثم خلص أخيراً إلى القول: إنه حين أنكر إخضاع أبي نواس للتحليل النفسي كان يعلم حق العلم ما يقول. وأنه كان يعمد إليه عن إرادة وبصيرة وثقة؛ لأنه يرى أن إخضاع القدماء لهذا التحليل هو ضرب من الظن، لا يرقى إلى العلم، ولا ينتهي إلى اليقين، ولا يقنع القارىء الحصيف؛ ولذا فهو يصارح العقاد أيضاً بأنه لم يقتنع بما جاء في رده السابق كي يتحول عن رأيه يقول: «ما زلت ارى هذا الرأي لم يصرفني عنه الأستاذ العقاد بما كتب في مقاله الأخير، وما أرى أنه سيصرفني عنه الآن على اقل تقدير»[2].

وهكذا توقفت المحاورة بين الناقدين، وكلّ منهما يصرّ على رأيه في القضية.

ونحسب أنّ هذه القضية هي أهمّ قضية نقدية دار حولها الحوار بين العقاد وطه حسين، وذلك لأسباب عدة: أولها أنها آخر قضية دار حولها الحوار بين الاثنين، وكان ذلك في الطور الأخير من حياتهما النقدية. وثانيها أنّ كلاً منهما كان يصدر في رأيه عن دراسة كبيرة متعمقة في الشاعر أبي نواس: العقاد وضع فيه كتاباً، وطه حسين كان قد نشر دراسة كبيرة رائدة حوله في عام ١٩٢٤ .

وثالثها - وهو أهمها - أنّ الخلاف بينهما ليس عَرَضياً أو ثانوياً، وإنما هو جوهري أو أساسي، ذلك أنه في الغالب يمثّل التصادم بين منهجيهما في النقد الأدبي، فالعقاد يميل في منهجه إلى

(١) خصام ونقد: ١٠٤ .
(٢) المصدر نفسه: ١٠٦ .

العناية بتحليل شخصية الشاعر أكثر من العناية بتحليل شعره، على حين أن طه حسين في منهجه يميل إلى نقيض ذلك، والحق أنّ طه حسين قد عرض مبكراً للخلاف بين المنهجين، وذلك في عام ١٩٣٣، حين ألقى محاضرة حول ابن الرومي، فاشار في نهايتها إلى دراسة العقاد وصاحبه المازني للشاعر، وقد لاحظ أنّ كلاً منهما في دراسته يقف عند شخصية ابن الرومي اكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني للشعر، قال: «والظاهر انهما يكلفان كلفاً خاصاً بشخصيات الشعراء، أما أنا فربما عنيت بالشعر أكثر من عنايتي بالشعراء، وربما اتخذت الشاعر وسيلة إلى فهم الشعر»[١]... ورابعها أنّ نقد طه حسين لمنهج العقاد في دراسة شخصية أبي نواس، قد كان جزءاً من نقد مشابه، تناول به دارسين آخرين في الحقبة نفسها من أمثال الدكتور محمد النويهي، الذي كان قد درس أبا نواس، فحاول أن يحلل شخصيته وفق نظريات «فرويد»، ثم خلص إلى أنّ الشاعر كان يعاني من عقدة «أوديب»، وحاول من خلالها أن يفسّر شخصيته لكن طه حسين حين نقد هذه الدراسة، ذهب إلى أن هذا التفسير لشخصية أبي نواس متكلف من اساسه، ورجّح أنّ النويهي قد عمد إليه «ليكون مبتكراً، مجدداً، فأسرف على نفسه، وأسرف على أبي نواس، وإسرف على قرائه»[٢] ثم نبّهه إلى أن العلماء في أوروبا لا يطمئنون إلى نظريات فرويد « في التحليل، ولا يقرّون تطبيقها على شاعر قديم، لا تُعرف دقائق حياته الواقعية»[٣]،

(١) من حديث الشعر والنثر: ٥٠ .
(٢) خصام ونقد: ٢٢٥
(٣) المصدر نفسه: ٢٢٦

وقد تمنّى على النويهي لو أنه عُني بفن الشاعر أكثر من شخصيته[1]؛ لأن منهج التحليل النفسي يمكن تطبيقه على الأديب المعاصر أما القدماء فلا يمكن أن ندرسهم وفق هذا المنهج، لأن حياتهم مجهولة في الغالب[2]؛ ثم ختم نقده للنويهي بقوله: «إني لأنصح للأستاذ أن يعود إلى أبي نواس فيدرسه درس الأديب الناقد ويدع التحليل النفسي لأصحابه الهائمين به، الغارقين فيه»[3].

ولعلنا لاحظنا أن ما قاله للنويهي، قد عاد فكرّره كلّه للعقاد في المحاورة الأخيرة، بل إنه حين نقد العقاد، عرض لدراستي الاثنين معاً بالقول: إن إقحام التحليل النفسي في تحليل شخصية أبي نواس «أنتج لنا النرجسية في كتاب العقاد وأنتج لنا في العام الماضي ذلك الرجل الذي أصابته عقدة «أوديب»، ومن يدري لعله ينتج لنا فنوناً من الأعاجيب، إذا مضينا في إجراء التحليل النفسي عليه»[4].

وقد حدث ما توقعه؛ إذ ما لبث سلامة موسى أن نشر دراسة في أبي نواس، ذهب فيها إلى تفسير شذوذ شخصيته تفسيراً نفسياً مغايراً[5]، ولم يتردد طه حسين في نقده أيضاً، على نحو ما سوف نرى[6].

(١) خصام ونقد: ٢٢٧
(٢) المصدر نفسه: ٢٢٧
(٣) المصدر نفسه: ٢٢٧
(٤) المصدر نفسه: ٢٤٤
(٥) انظر كتاب سلامه موسى «الأدب للشعب»: ٧٩
(٦) انظر خصام ونقد: ٢٥٠، وما بعدها .

وإذن فاهمية المحاورة الأخيرة بينه وبين العقاد ترجع في الغالب إلى أنها تظهر معارضته النقدية الشديدة لاستخدام التحليل النفسي في دراسة شخصيات القدماء، وتبيّن الأسباب التي تدعوه إلى الاعتقاد بأن هذا النهج لا يحسن اتباعه في دراستهم.

لماذا لم تقع الخصومة بينهما؟

وبعد.. فعلى الرغم من أنّ المحاورات النقدية بين طه حسين والعقاد قد تعددت، وظلّت تتجدّد على مدى طويل من الزمن، فإنها كانت دائماً تحتفظ بمستوى رفيع من أدب الخطاب، والاحترام المتبادل، ولا تخرج البتة عن إطار النقد والعلم وقد لاحظ أنور الجندي هذا، ولكنه اضطرب في تفسيره، فقال مرة: إنه يعود إلى التقارب السياسي بين الاثنين[1]. وقال مرة أخرى: «كان طه حسين يخشى قلم العقاد، فلم يعرض له إلا لماماً، وفي حذر شديد»[2]. ولا ريب أن كلا التفسيرين متهافت من الناحية العلمية.

أما القول: إنّ الأمر يعود إلى الظروف السياسية فيردّه أنّ المحاورة النقدية الأولى دارت والعداء السياسي بينهما على أشده، ومع ذلك فقد كانت معتدلة في المدح والقدح، على نحو ما رأينا بل إن طه حسين نفسه قد نقض هذا التعليل إذ قال ذات مرة: «الذين عاصروا خصوماتي للعقاد يذكرون من غير شك أني اثنيت على أدبه

(١) انظر «المعارك الأدبية»: ٦٢٤ .
(٢) المرجع نفسه: ١٣ .

في جريدة السياسة، حين كانت الخصومة بين الوفديين والدستوريين كاعنف ما تكون الخصومات، لم يمنعني ذلك من ان اسجل انه كاتب عظيم»[١] . كما ذكر ان العقاد قد تناسى هو ايضاً الخصومة السياسية في اثناء العاصفة التي دارت حول كتابه «في الشعر الجاهلي» فدافع عنه في مجلس النواب مخالفاً بذلك إرادة حزبه[٢] .

وأما القول: انه كان يخشى قلم العقاد، فينبغي ملاحظة ان انور الجندي يردده، متابعا فيه الرافعي، كما يروي هو نفسه عنه ذلك في كتابه[٣] ، والحق ان بعض انصار الرافعي والعقاد، - ممن ينظرون الى الحوار النقدي على انه معارك ضارية، تسفك فيها الدماء، وتسقط خلالها الضحايا اشلاء - نجدهم يرددون مثل هذا الكلام، فحين قال طـه حسين بعد وفاة العقاد في مقابلة تلفازية: انه لم يفهم كتابه «عبقرية عمر» ، سارع بعض هؤلاء، وذهبوا الى ان طـه ما كان ليجرؤ على قول ما قال لو ان العقاد ما زال حيا يرزق[٤] . ثم راحوا يشيعون ان طـه كان يخشى العقاد، ولاريب ان مثل هذا القول من الناحية العلمية مرفوض رفضا قاطعا، وذلك لاسباب عدة: اولها ان من يتامل سيرة طـه حسين يلاحظ ان الجراءة هي من ابرز السمات اللافتة في شخصيته، سواء اكان ذلك في ميدان النقـد والادب ام كـان في ميـدان السياسـة، وقد جرت عليـه هذه

(١) خصام ونقد: ١٤٥ .
(٢) المصدر نفسه: ١٤٥ - ١٤٦ .
(٣) انظر «المعارك الأدبية»: ٤٣٣ .
(٤) انظر «طه حسين يتحدث عن أعلام عصره»: ٥٧ .

الجراءة العنيفة محنا شدادا، كان من اشدها محنة الشعر الجاهلي، ومع ذلك فقد ثبت لهذه المحنة، ولم تقلل من جراءته، ذلك انه عاد بعد سنوات قليلة، فتحدى رئيس الوزراء صدقي باشا، حين طلب اليه ان يمنح بعض السياسيين درجة الدكتوراه الفخرية؛ مما عرضه للفصل، ولبعث قضية الشعر الجاهلي من جديد، وقد صوّر لنا طه حسين في اعترافاته شيئاً من جراءة نفسه وعنفها في مواجهة إحدى المحن - نحسبها محنة الشعر الجاهلي -. فقال: «لقد رأى نفسه ذات يوم، وليس بينه وبين المحنة إلا خطوة الى أمام، وليس بينه وبين العافية إلا خطوة الى وراء، وانّ أصدقاءه المحبين له، العاطفين عليه... ليلحّون عليه أن يؤثر العافية، ولو وقتا قصيرا، فلا يسمع لمشورتهم، ولا يحفل بإلحاحهم، وانما يخطو خطوته تلك الى أمام، فيلقي بنفسه بين ذراعي وجبة الأسد» [١].

واذا كان حزب الوفد هو حزب الأكثرية، وكان زعيمه سعد هو زعيم الأمة أو الشعب، وكان العقاد يستمد قوة من انه كاتب هذا الحزب، الأثير الى زعيمه، فإن طه حسين كان أعنف كاتب هاجم هذا الجزب وزعيمه - كما مرّ بنا - وها هو ذا يقول مرة أخرى في مذكراته: «كان صاحبنا أطول الكتّاب لسانا، وأجراهم قلما في نقد سعد، ونقد سياسته، قبل أن يلي الحكم. وبعد أن وليه، وبعد أن اضطر الى اعتزاله، وأصاب الفتى من هذه الخصومة مكروه أيّ مكروه» [٢]، واذا كان هو لم يخش الحزب وزعيمه، ولم يحفل

(١) مذكرات طه حسين: ٢٦١، والمذكرات هي الجزء الثالث من كتاب «الأيام».
(٢) المصدر نفسه: ٢٢٧

بأكثرية الشعب وسخطه [١]، فكيف يصحّ في المنطق القول: إنه كان يخشى فردا من هذا الحزب،وهو العقاد، مع أنه بَدأه بالنقد الادبي، وتجرأ عليه فسخر من غموضه الادبي سخرية لاذعة. بل إنه حين نحّى السياسة عن النقد لم يفته أن يعرب عن احتقاره لمذهب العقاد السياسي، قائلاً: « أنا أمقت المذهب السياسي للأستاذ عباس العقاد وأزدريه ازدراء لاحدّ له»[٢].

وقد لاحظنا في هذا النقد أنه استعد لخصومة العقاد وأنصاره[٣]، ولكنه فوجيء بأن ردّ العقاد كان هيّنا، اقتصر على رسالة تضارع النقد من حيث المدح والذم، بل لقد فوجيء بوقوف العقاد الى جانبه في محنة الشعر الجاهلي على نحو ما رأينا.

وثاني هذه الاسباب ان طـه كان في المحاورات السابقة كلها هو البادىء بنقد العقاد، وقد لاحظنا ان ردود العقاد في هذه المحاورات قد ابتعدت عن العنف، واتسمت بالرقة واللطف، بل يلاحظ ان العقاد حين نقد بعض اعمال طـه حسين الابداعية، مثل: دعاء الكروان، والحب الضائع، وعلى هامش السيرة، قد مال الى المدح اكثر من استقصاء المآخذ الفنية، والبحث عن العيوب[٤].

وثالثها انه حين نقد العقاد في حياته، قد ذهب الى انه يعاني من

---

(١) انظر «حياة الرافعي» للعريان: ١٥٨.
(٢) حديث الاربعاء: ٩٦، ج٣ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ١٠١ – ١٠٢.
(٤) انظر مجلة الرسالة عدد ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢، وانظر كتاب العقاد «ساعات بين الكتب»: ٧١٤ وما بعدها دار الكتاب العربي، بيروت.

«قصور اللغة والبيان»[١]، وعلل بهذا القصور غموضه في بعض كتاباته، حتى انه حين نقد رسائل الاحزان للرافعي قد عاد الى العقاد ليقول عنه: «.. قد قلت لك غير مرة: إني لاافهمه أحيانا»[٢].

واذن فحين قال في المقالة التلفازية بعد موت العقاد: انه لم يفهم عبقرية عمر، فإن هذا القول يتسق دون شك واقواله السابقة خلال حياته.

واما استهجان هذا منه، ورده الى الخشية ومحاولة افتعال الضجيج فهي ان دلت على شيء فانما تدل على عدم الإلمام الكافي او الدقيق بنقده.

ورابع هذه الاسباب - وهو أهمها - انه لو جاز لنا القول: ان طـه كان يخشى قلم العقاد لانه لم ينقده نقدا عنيفا، لوجب علينا في الوقت نفسه القول: ان العقاد كان يخشى قلم طـه ويتهيبه لانه لم ينقده ايضا نقدا عنيفا، ذلك ان الامر ينبغي ان يشمل الاثنين معا والايقتصر على طـه حسين وحده.

والحق ان الامر لا يعود الى الخشية البتة وإنما يرجع الى التقدير والاعجاب المتبادلين، والظريف ان احد المعجبين بطـه حسين قد وجه اليه رسالة في عام١٩٣٩، نشرتها مجلة الثقافة التي كان يصدرها أحمد أمين، وفيها لاحظ انه قد ترفق في نقده كتاب العقاد «رجعة أبي العلاء». ثم تمنى لو انه يستطيع الوقيعة بينه وبين العقاد، كي

(١) حديث الاربعاء: ١٠٢، ج٣
(٢) المصدر نفسه: ١٢٣، ج٣

يرى الخصومة النقدية بينهما على اشدها[١]، وهكذا يظهر ان الخصومة الادبية العنيفة بين طـه حسين والعقاد كانت امنية بين مثقفي القراء فضلا عن الادباء، وقد ردّ طـه على هذا القارىء في المجلة نفسها، طالبا اليه «الا يتعجل الحوادث، والايثير نار الخصومة الادبية الحادة قبل ابانها فلكل شيء وقته»[٢]، وطمأنه الى ان مايتمناه ممكن الوقوع على انه قال: «ليس على الخصومة العنيفة بيني وبين الاستاذ العقاد في الادب من بأس ان تبدأ بالدعابه واللين والنقد الرفيق فرب لمحة اغنت عن صراحة، ورب اشارة اجزأت عن عبارة»[٣]، ثم عرض لحقيقة مهمة تتصل به وبالعقاد من الناحية النقدية، وهي انه اذا ثارت الخصومة اقدر من العقاد على تحمل النقد الحاد، قال: «العقاد رقيق الحس، دقيقه، وهو أرق مني حسًا، وادق مني مزاجا، يضيق بالنقد، ويتأثر بلذعه، اكثر مما أضيق وأتأثر»[٤]

وإذن فليس في القضية تهيب ولاخشية، فطه اذ حزب الامر اصبر من العقاد على تحمل النقد العنيف، وتقبله، فهذا النقد لايهزه كما يهز العقاد، الذي يأخذ عليه انه «لا يكاد يقرأ فصلاً في نقد كتاب من كتبه، حتى يسرع إلى الرد، والرد الذي يتكلف فيه التأويل، والتحليل، وتقدير أصحاب النحو والصرف، وتخريج أصحاب اللغة والفقه»[٥]. ولا ريب أن ما ذهب إليه هنا صحيح،

(١) انظر مجلة الثقافة: ص٤٢، العدد (٦). ٧ فبراير، ١٩٣٩ .
(٢) طه حسين، بين المجلة والقراء: ص٤٢، مجلة الثقافة، عدد (٦).
(٣) المصدر نفسه: ٤٢ .
(٤) المصدر نفسه: ٤٢ .
(٥) المصدر نفسه:٤٢ .

وليس أدل على صحته من خصومة كل منهما للرافعي، فقد رأينا كيف تركه طه يهاجمه، ولم يُعنَ بالرد عليه حين لاحظه لا يلتزم بأدب الحوار، وأما العقاد فقد شُغل بالرد على الرافعي ردحاً من الزمن، حتى أعياه أمره في النهاية، بعد أن جرى مجراه في الإسفاف، والتورط في هُجْر القول، وإذن ليست الخشية من النقد هي السبب، فالعقاد لم يكن أعنف من الرافعي أو زكي مبارك، وإنما هو الحفاظ على الصداقة والمودة، ومن وجهة أخرى يلاحَظ أن طه يكاد يكون الناقد الوحيد، الذي نقد العقاد، وحاوره مراراً، دون أن يغلظ العقاد له في القول، ولا ريب أنّ السبب يعود أيضاً إلى المودة الصادقة، التي كان يكنّها لـ«طه حسين».

أمّا أنّ العقاد كان يقدّر طه حسين حقاً، فهو ما أعرب عنه في بعض ما نشره عنه، وهو ما رواه عنه أقرب الناس إليه من أهله، ففي أزمة الشعر الجاهلي، حين طالب بعض النواب بفصله من الجامعة. وقف يلفتهم إلى كفاءته، قائلاً: «على مهلكم فانتم إذا أخرجتم طه من الجامعة فلن تجدوا من يستحق أن يجلس مكانه»[١]، وعندما طلبت مجلة «الهلال» إلى كل منهما أن يقول رأيه صراحة في الآخر، لبّى العقاد وحده ذلك، فنشر فيها مقالة عام ١٩٣٥[٢]، قرّر خلالها أن طه حسين أديب ناقد، جريء العقل وقويه، وأنّ أسلوبه الذي لا ينفك بعضهم يعيبه هو في الحقيقة فريد

(١) انظر المقابلة التي اجرتها صحيفة الاهرام مع طه حسين والمنشورة بعنوان «أول حديث لطه حسين عن العقاد»: الاهرام، العدد (٢٨٢٢) ١٦ مارس، سنة ١٩٦٤ .

(٢) عنوانها «طه حسين» انظر مجلة الهلال: ١٠١٧ - ١٠٢١، الجزء التاسع السنة (٤٣)

من نوعه في اللغة العربية، وليس فيه محاكاة لأسلوب آخر في اللغات الأوروبية، فهو أسلوب أدبي قد استقل طه بابتداعه، ولو غضب المنكرون[١].

ولقد كان العقاد يرى أنّ طه حسين هو نِدّه الوحيد، وأنه خير أديب يقاسمه حمل المسؤولية الثقافية فقد روى ابن أخيه عامر العقاد عنه أنه عاد ذات يوم إلى البيت، وعلامات الأسف الشديد تعلو وجهه فلما سأله عن السبب، أجاب: إنّ طه حسين قد أغمي عليه في جلسة مجمع اللغة، حتى ظُنّ في البداية أنه فارق الحياة، ثم قال العقاد له: «.. إنني يا مولانا لا أتمنى من الله أن يطيل حياتي بعد الدكتور؛ لأن في ذلك مشقة أو تعباً لا أقوى عليه»[٢]، قال ابن أخيه عامر: «وأدركت يومذاك مكانة الدكتور في نفس العقاد»[٣].

وأما أنّ طه حسين كان يقدّر العقاد فهو ما نجده يجهر به جهراً في بعض كتاباته. نحو قوله: «.. ما أظن بين لِدات العقاد وأترابه ومعاصريه من يقدره ويكبره مثل ما أقدره أنا وأكبره، وليس يعنيني أن يكون رأي العقاد فيّ كرأيي فيه، وإنما الذي يعنيني أن أقول الحق، وإن كرهه الكارهون»[٤] ولقد سجل عنه سكرتيره الدكتور الدسوقي أنه كان يرى العقاد كاتباً ممتازاً، وأنه قال له: «إنما كان العقاد لي صديقاً حميماً»[٥].

(١) المصدر نفسه: ١٠٢٠ - ١٠٢١ .
(٢) عامر العقاد «معارك العقاد الأدبية»: ٩٩، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
(٣) المرجع نفسه: ٩٩ .
(٤) خصام ونقد: ١٤٥ .
(٥) طه حسين يتحدث عن اعلام عصره: ٥٧ .

وقد صوّر طه موقف العقاد منه في أزمة الشعر الجاهلي فقال عنه: «كانت الحرب سجالاً بيني وبينه، فلم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم في مجلس النواب، فيدافع عني، حين كان الوفديون جميعاً عليّ حرباً»[1].

ونحسب أنّ موقف العقاد منه في الأزمة هو في مقدمة الأسباب التي جعلته يحرص على مودته وأن يمهّد دائماً تمهيداً لطيفاً لنقده، تجنباً لحدوث القطيعة، بينهما، ولا يعني هذا أنه كان يجامله، وإنما كان يقول رأيه الحق في ما ينقد من كتبه وآرائه، ولكنْ في شيء واضح من الرفق والتلطف. علّله بأنه لا يطيق النقد الحاد الجاف؛ ولذا قال في دعابة عن الأسلوب الملائم في نقده: «الخير كل الخير في أن نطرق عليه الباب في رفق، وأن ندخل عليه بعد أن يأذن لنا في رقة وظرف، والله يعلم بعد ذلك كيف يكون مُقامنا عنده، وكيف يكون انصرافنا عنه»[2] ولقد ظل يذكر موقف العقاد منه في الأزمة حتى آخر حياته[3]، كما ظل يذكر موقف الرافعي، ويُلاحَظ أنه قبل أن ينشر كتابه «في الشعر الجاهلي» كان العقاد والرافعي أبرز خصمين له، قد عرض لنقدهما، بل كان العقاد أشد خصومة، لأنه جمع بين خصومة الأدب وخصومة السياسة، كما يلاحَظ أنه قرّر في نقده إياهما أن كليهما غامض في كتابته، وأن علة الغموض عند أحدهما تناقض علته لدى الآخر:

(١) خصام ونقد: ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) طه حسين بين المجلة والقراء، مجلة الثقافة: ص٤٢، عدد(٦).

(٣) انظر المقابلة المنشورة في صحيفة الأهرام بعنوان «أول حديث لطه حسين عن العقاد» العدد (٢٨٢٢).

فبينما ارجع غموض العقاد إلى أن عقله أطول من لسانه[1]، أرجع غموض الرافعي إلى أن لسانه أطول من عقله، إذ ألمح إلى انه يعتده أديباً ثرثاراً في غير طائل، قال «ولكنه لا يخلو من أصل قيم»[2]، على هذا النحو كان طه حسين يقف من العقاد والرافعي قبيل أزمة الشعر الجاهلي، ينقدهما في حرية، ويرحب بنقدهما ومحاورتهما في براءة، ولكن موقفه منهما قد اختلف بعد الأزمة التي أعقبت نشره كتابه، فبينما استمر ينقد العقاد ويحاوره في مودة حتى توفي العقاد عام ١٩٦٤، لاحظنا انه أهمل الرافعي إهمالاً تاماً، وأمسك عن ذكر اسمه في كتبه حتى آخر حياته، وما من شك أن موقفه منهما قد تأثر كثيراً بموقفيهما منه، خلال محنة الشعر الجاهلي، وإذا كان طه حسين يقدّر الأديب الناقد ذا الموقف الحر البريء، فشتان ما بين موقف العقاد وبين موقف الرافعي منه خلال الأزمة: أما العقاد فقد تناسى الخصومة السياسية والأدبية - كما قلنا غير مرة -، وتجاهل أهداف حزبه - حزب الوفد - ومطامعه، وتحدّى إرادته، وهَبّ يدافع في البرلمان عن حرية الرأي والفكر ممثلة في طه حسين[3]، وأما الرافعي فقد استجاب لنداء الخصومة الأدبية والشخصية، واستجـاب أيضـاً لنداء القصـر، الذي كان شاعره في سنة ١٩٢٦،

---

(١) حديث الأربعاء: ١٠٢، ج٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٠٢، ج٣ .
ويلاحظ انه لم يسم الرافعي، ولكن الاشارة اليه كانت واضحة، وقد كان هذا قبيل نقده رسائل الأحزان .

(٣) انظر دفاع العقاد عن طه حسين في مجلس النواب، مضبطة الجلسة الخامسة لمجلس النواب والشيوخ، يوم ١٣ سبتمبر، سنة ١٩٢٦، كذلك انظر وثيقة دفاعه في مجلس النواب في كتاب «طه حسين .. أيام ومعارك» لنجاح عمر : ١٧٧ .

ويرتبط به برباط المنفعة الذاتية[1]، واستجاب لنداء صحف الوفد وإغرائها، استجاب لهذا النداء كلِّه، ليكون (بطلَ) حملة التحريض والتشهير على حرية الرأي والتعبير.

(١) انظر حياة الرفعي للعريان: ١٦٨ - ١٨٣ .

محاورة سلامة موسى

سلامة موسى مثال الناقد المتطرف في تعصبه على الأدب العربي القديم، حتى إنه كان يجهر بازدرائه لهذا الأدب، ويدعو إلى الإعراض عنه؛ لأنه في رأيه لا يلهم، وينادي بالتوجه إلى الأدب الأوروبي، لأنه وحده الأدب الحق، وأساس النهضة الأدبية الحديثة[1].

وإذا كانت مجلة «الرسالة» التي أصدرها أحمد حسن الزيات في عام ١٩٣٢ قد اضطلعت بدور ثقافي كبير فإنّ عباس خضر يذكر أنه خلال صدورها قد سمع سلامة موسى ذات مرة يهاجم هذه المجلة الرفيعة، ولا مأخذَ له عليها سوى أنها تُعنى بالأدب العربي القديم، وباللغة الفصحى، يقول: «.. لم يكن سلامة موسى يرى في تراثنا ما ينفع، بل فيه ما يضر، وأنّ الخير والنهوض والتقدم، لا تكون إلا في أن نَتَّجه إلى أوروبا، ونأخذ عنها كل شيء»[2].

وقد كان سلامة موسى في كتابه «البلاغة العصرية» من دعاة العاميـة، ونحسـب أن أنور الجندي لم يبالغ حين قال عنه «كـان

(١) انظر كتاب سلامه موسى «الأدب للشعب»: ٥٧، وما بعدها.
(٢) عباس خضر، هل أنا غبي؟، مجلة الدوحة: ١٣٨ - ١٣٩، العدد (٤٢) يونيو - قطر - ١٩٧٩

عنيف الخصومة للغة العربية، والدين عامة، والإسلام والشرق»[1]

وسلامة موسى نفسه يروي لنا أنّ العقاد قد علّل كراهيته للأدب العربي القديم بأنه ليس بعربي، ومع أنه هاجم العقاد فإنه لم يحاول أن يدرأ عن نفسه التهمة[2].

وكان سلامة يرى أنه من طليعة المجدّدين، وقد عرض له طه حسين بالنقد والمحاورة غير مرة، تُرى: أوافقه على آرائه الأدبية التي نادى بها، أم عارضه فيها؟؟



عندما نجح طه حسين في نيل درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٤، وأصبح حينذاك حديث الصحافة تحدّث عنه سلامة موسى في مجلة «المستقبل»، التي كان يرأس تحريرها وكتب عنه مرتين يثني فيهما على عصاميته وموهبته الأدبية[3].

وعندما دارت محاورة بين طه حسين والرافعي، حول أسلوب الثاني في رسالة العتب، التي نشرها في صحيفة «السياسة» عام ١٩٢٣، واشترك فيها أخيراً عدد من الكتاب، نشر سلامة موسى مقالة في مجلة «الهلال»، هاجم فيها الرافعي وأسلوبه الزخرفي

(١) المعارك الادبية: ٦٤٩ .

(٢) انظر كتابه «الأدب للشعب»: ١٨٨ .

(٣) وقد كتب عنه في عددين متتاليين من مجلة المستقبل: العدد الثاني، الصادر في ١٩١٤/٥/١٤، والعدد الثالث الصادر في ١٩١٤/٥/٢١ وانظر «معارك طه حسين الأدبية» لسامح كريم: ٣١٥ .

المتكلف[1]، ثم أتبعها بمقالة أخرى، جهر فيها بتأييده لـ«طه حسين» وما يذهب إليه من آراء، مفضّلاً إياه على الرافعي[2].

على هذا النحو كان سلامة موسى يقف من طه حسين، دون أن يكون قد عرفه معرفة شخصية، ذلك أن طه حسين حين تناوله في صحيفة «السياسة» عام ١٩٢٥، قد كرّر القول: انّه لا يعرفه ولا يذكر أنه تحدث إليه البتة[3]، ومع أنه كان على عِلْم بمواقفه منه[4]، فإنه في بداية تناوله لكتابه «مختارات سلامة موسى» لم يتردد في القول: «.. أنا أستبيح لنفسي ان اكون حرا في نقده»[5].

الخلاف حول الادب العربي القديم والمعاصر :

وقد لاحظ اول ما لاحظ ان سلامة موسى متسرع في اصدار احكامه[6]، فهو لايصطنع الاناة والروية، وانما هو مسرف في تطرفه[7]؛ وابرز ما اخذه عليه أنه «مسرف في ازدراء الادب العربي القديم والغض منه»[8]؛ ذلك انه لايريد ان ياخذ منه ما هو ضروري للانطلاق والتجديد، وانما يريد إهماله إهمالا تاما، وهو ما

(١) انظر مقالته «مصطفى صادق الرافعي» مجلة الهلال: ٤٠٠ – ٤٠٤ الجزء الرابع – السنة (٣٢) – ١٩٢٣ .
(٢) انظر مقالته «طه حسين» مجلة الهلال: ٥١٨ الجزء الخامس، السنة (٣٢) – ١٩٢٣
(٣) انظر حديث الأربعاء: ٩٤، ٩٧، ج٣ .
(٤) المصدر نفسه: ٢٣ – ٢٤، ج٣ .
(٥) المصدر نفسه: ٩٨ .
(٦) المصدر نفسه: ٩٨، ج٣
(٧) المصدر نفسه: ٩٩، ج٣
(٨) المصدر نفسه: ٩٩ .

انكره عليه طـه حسين؛ ولذا نجده يقول له مدافعا عن الادب العربي القديم: «.. قد افهم الايكون هذا الادب القديم كما هو ملائما كله لذوقنا الحديث او كافيا لحاجات انفسنا ولكن القدماء لم يضعوا ادبهم لنا وانما وضعوه لانفسهم وليس من شك في ان هذا الادب كان يلائم اذواق القدماء وحاجات نفوسهم»[(١)].

واذن فموقفه في القضية على النقيض من موقف سلامة موسى اذ ان الادب العربي في رأيه جدير بالقراءة، وبكل عناية ورعاية في العصر الحديث[(٢)].

☆ ☆ ☆

ويلاحظ ان سلامة موسى كان اذا رأى المحاورة النقدية تشتد بين طـه والعقاد فإنه لايتردد في الاشتراك فيها؛ اذ عندما اشتد الحوار بين العقاد وطه حسين حول الفرق بين الناقد اللاتيني والسكسوني ثم تطور فأضحى حول الفرق بين الثقافتين: اللاتينية والسكسونيه على نحو ما رأينا، تدخل سلامة موسى وهو ذو ثقافة انجليزية فذهب الى أن الثقافة اللاتينية هي التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر؛ لأن الفرنسيين كانوا هم قادة العالم في هذا القرن، وأما في هذا القرن فإن الثقافة السكسونية هي السائدة؛ لأن الإنجليز هم قادة العالم فيه[(٣)].

وقد ردّ عليه طه حسين مُسْتَخِفاً برأيه المتسرّع، ذلِك أنه جلس

(١) حديث الأربعاء: ٩٩ .
(٢) أنظر رأيه في المصدر نفسه: ص١٣ وما بعدها .
(٣) مجلة الرسالة: ص٤٢، ص٤٦، العدد (٣) ١٥ فبراير – ١٩٣٣ .

مجلس القاضي وأصدر بين الثقافتين حكم الواثق المطمئن، من خلال أسطر قليلة، لا تكاد تتجاوز العشرة، ومع ذلك حاول فيها أن يقارن بين اناتول فرانس وبرناردشو، وأن يقنع بأنّ الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر، وأنّ الإنجليز يقودونه الآن[1]، قال يخاطبه، لافتاً إلى أنّ الحكم في المسألة يحتاج إلى أناة وتعمق: «أظن أن الأستاذ سلامة موسى يوافقني على أنّ هذه المسألة أعسر، وأعظم خطراً، من أن يقضي فيها بِجَرّة قلم، وبهذا الإيجاز، الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو إلى الابتسام»[2].

وحين اشتد الحوار بين العقاد وطه حول أبي نواس، وحول اللجوء إلى نظريات علم النفس الحديثة في تحليل شخصيات الشعراء القدامى، تدخل سلامة موسى مشتركاً في الحوار، فنهب إلى أنّ أبا نواس كان من الشخصيات «السيكوباتية»؛ لأنه لو عاش في مجتمع يختلط فيه الرجال بالنساء، ولو تعلم الرقص لما استسلم لشهواته وشذوذه؛ لأن الشاب حينما يرقص والفتيات، ويتأمل جمال وجوههن، ويضع ذراعه في خصورهن، ويشم شعورهن، لا يستطيع أن يفكر إلا فيهن وحدهن، واذن فالذنب ليس ذنبه، وإنما جاءه من عيب المجتمع، الذي كان يعيش فيه، والذي كان يحظر على الجنسين الاختلاط، مما دفع الشعراء إلى التغزل بالصبيان[3].

وقد ردّ عليــه طه حسيــن، ينقض رأيه بالقول له: «لم يكن

(١) خصام ونقد: ٤٦

(٢) المصدر نفسه: ٤٦ .

(٣) سلامة موسى، «الأدب للشعب»: ٧٩ ومابعدها. والفصل في الأصل مقالة نشرها في جريدة أخبار اليوم: العدد (٤٨٨)، بتاريخ ١٩٥٤/٢/٦

الانفصال بين الجنسين من الخطورة بحيث يظن الأستاذ في ذلك العصر، فما كان أيسر اللقاء بينهما في ظروف الجد والهزل جميعاً»[١]، ثم لفته إلى أنّ الحرائر هنّ اللائي كنّ يتشدّدن في الحجاب، وأمّا الإماء فكنّ يلتقين الرجال، دونما شعور بحرج أو جناح، وقد ذهب إلى أنّ سبب الشذوذ يعود في الغالب إلى تحرّر الأمم الأخرى في العصر العباسي، ووقوفها مع العرب على قدم المساواة[٢]، وآية ذلك أنّ الشعراء الذين اشتهروا بالمجون، كان أكثرهم من غير العرب، «كانوا من الفرس أو أشباه الفرس، ومن أولئك الموالي»[٣] وشذوذ أبي نواس ليس بدعاً من شذوذ أمثاله في ذلك العصر، وفي غيره من العصور؛ لأن مثل هذا الشذوذ ينبغي أن يرد إلى «الإسراف في الترف، وإلى الأسباب الاجتماعية، التي تأتي من ضعف الأخلاق، وانحلال النظم، أكثر من ردّه إلى الأسباب، التي تتصل بالأفراد»[٤].

وقد ذهب سلامة موسى ذات مرة الى أنّ القصة المصرية تافهة[٥]، كما ذهب الى ازدراء الأدب المصري، وحكم عليه بأنه غير صالح للبقاء، قائلا:«.. لم أجد من أدبائنا من يستحق أن يقرأ له أولادنا وأحفادنا بعد عشرة أعوام»[٦].

(١) طه حسين، خصام ونقد: ٢٥١
(٢) المصدر نفسه: ٢٥٢ .
(٣) المصدر نفسه: ٢٥٣ .
(٤) المصدر نفسه: ٢٥٦
(٥) سلامة موسى، الأدب للشعب: ١٧٣ وما بعدها .
(٦) المصدر نفسه: ١٧٨ .

وقد ردّ عليه طه ملاحظا مرة أخرى، أنه مسرف، متسرع في إصدار أحكامه، وقد استدل على خطأ ماذهب اليه بشأن القصة بأن كثيرا من الأدباء والقراء يرضون عن القصة المصرية، وبأنّ ثمة قصصا مصرية قد «جاوزت حدود العالم العربي نفسه الى العالم الغربي، فترجمت الى لغات أوروبية مختلفة» [(١)]، ويأتي في طليعتها آثار توفيق الحكيم ومحمود تيمور. فهي «ليست غريبة بالقياس الى الفرنسيين والإنجليز» [(٢)]، وقد لفته الى أنه التقى في فرنسا راهبا دومنيكياً، ترجم قصة «السقامات» ليوسف السباعي الى الفرنسية، ولما سأله هذا الراهب عن قصص أخرى خليقة بالترجمة نصح له بترجمة قصص نجيب محفوظ [(٣)].

وأما ازدراء سلامة موسى للأدب المصري المعاصر، وقضاؤه عليه بأنه غير صالح للبقاء، وبأن شيئا منه لن يقرأ بعد عشر سنوات فقد سخرطه حسين منهما وذهب الى أنه لا بأس على الأدب المصري المعاصر من ازدرائه وحكمه، ما دام غيره من الناس يستطيع أن يكبر ما ازدرى، وأن يعرف ما أنكر، وأن يحب ماكره، ولكنّ المأخذ الخطير على سلامة في رأيه أنه يحاول في تسرعه أن يسبق التاريخ والحكم عليه قبل أن يكون [(٤)]، وهو ما ينبغي على الناقد الأدبي المسؤول أن يتجنّبه، ولذا خلص في نهاية نقده الى أن سلامة موسى ناقد غير جاد، لا يشعر بمسؤليته الجسيمة أمام قرائه، قال: «كان

---

(١) خصام ونقد: ١٣٨ .
(٢) المصدر نفسه: ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه: ١٣٨ .
(٤) المصدر نفسه: ١٣٩ .

الأستاذ سلامة موسى عابثا إذن حين قضى بغير علم، وحين حكم فيما لا يملك الحكم فيه»[1]

أدب الملوك وأدب الشعب:

وبعد أن قامت الثورة المصرية في عام ١٩٥٢، واطيح بالحكم الملكي، عاد سلامة موسى الى ازدراء الأدب العربي القديم ومهاجمته، وكان ماخذه عليه في ظلّ الظروف الجديدة أنه الى حدّ بعيد «أدب ملوك»[2]، وليس بادب الشعب أو العامة، او المجتمع او الإنسانية[3]، ولذا قال يجهر بموقفه منه في جراءه وصراحة: «إنما موقفي من هذا الأدب انه لا يلهمنا، اي لا يلهم الكاتب، كما انه لا يرشد القارىء الى الحياة السامية اي الى العظمة»[4].

ثم راح - ومعه بعض أشياعه من الكتاب الشباب وقتذاك[5]- يدعو الى وجوب ظهور الادب الثوري في سرعة فائقة .

وقد تصدى طـه حسين لسلامة موسى في قوة ومنطق وجراءة أيضا؛ اذ ذهب الى انه هو واشياعه حين يزدرون الادب العربي القديم، ويدعون الى الازورار عنه؛ متذرعين بأنه أدب ملوك، يظنون أنهم بهذه الذريعه يقنعون رجال الثورة ويرضونهم، وما دروا ان الباطل لا يُرضي أحدا، وان الحق لا يغضب الرجل الرشيد، ثم

(١) خصام ونقد: ١٤١ .
(٢) سلامة موسى: الأدب للشعب، ٥٩ .
(٣) المصدر نفسه: ٥٩ .
(٤) المصدر نفسه: ٥٨ .
(٥) من أمثال لويس عوض، أنظر «خصام ونقد»: ٦٦

لو أخذت بها في هذا العصر، لاضطرت إلى التنازل عن كثير من آثارها الفنية الرائعة؛ لأن لوجودها علاقة ما بالملوك أو الأمراء، ولكنْ لا أَحَد في هذه الأمم تـخطر له هذه الدعوة، بل إنّ أصحاب هذه الدعوة في مصر يريدون إلغاء الأدب العربي القديم؛ لأنه أدب ملوك، وهم في الوقت نفسه لا يريدون «أن يلغوا من أدب شكسبير ما مدح فيه الملوك والأشراف، ولا يريدون أن يلغوا آثار أصحاب الفن الأوروبيين الخالدين في التصوير والنقش والعمارة، مع أنها أنشئت لملك أو شريف أو أمير من أصحاب الإقطاع»[1]. وإذن فدعوتهم خاصة بالأدب العربي القديم وحده، مع أن هذا الأدب ليس كله يتعلق بالملوك والأمراء، وإنما يتعلق منه بهم شعر المدح وحده، على أنه ينبغي أن نلاحظ أن شعر المدح نفسه لم يكن يقال للممدوحين وحدهم «ولو كان الأمر كذلك أيضاً ما عُني الناس بهذا المدح بَعد موت الممدوحين، وبُعْد العهدِ بهم، بل لو كان الأمر كذلك ما احتفل ممدوح بمدح قط، فعناية زهير بن أبي سلمى مثلاً لم تكن مقصورة على هَرِم بن سِنان حين مدحه، وإنما مدح زهير صاحبه ذاك ليأخذ عطاءَه من جهة، وليعجب الناس بشعره من جهة أخرى، وعسى أن يكون حرصه على إعجاب الناس بشعره أشد من حرصه على الظفر بعطاء الممدوح»[2]. وبهذا وحده يمكن أن نفسّر ما قيل: إنّ ما أعطاه هَرِمٌ لزهير قد فني وأدركه البِلى، على حين أن مدح زهير إياه لا سبيل إلى أن يدركه الفناء[3].

(١) خصام ونقد: ٥٠ .
(٢) المصدر نفسه: ٤٨ – ٤٩ .
(٣) المصدر نفسه: ٥٠

اعرب عن شكه في ان يستطيع سلامة موسى وامثاله «ان يصارحوا الثورة بان الادب القديم شر يجب أن يزول، وفساد ينبغي أن يلغى، واثم ينبغي أن تمّحي آثاره». قال ساخراً: «ولو قد تحدث أحد هؤلاء السادة إلى رجل من رجال الثورة في شيء من ذلك، أو في شيء يشبه ذلك من قريب أو بعيد لما رأى منه إلا ازدراء، ولما سمع منه إلاّ زجراً وانتهاراً»[1] ثم تحوّل بعد ذلك إلى هذه الدعوة التي يدعو إليها هؤلاء، والتي تذهب إلى أن الأدب العربي القديم كان بعيداً عن حياة الشعب وأنه كان أدب ملوك أو أدب إقطاع؛ ولذا لا يستحق في ظل الثورة إلا الإعراض عنه، والنفور منه[2]، فبيّن أنها دعوة خطرة؛ لأنها لا تعني أقل من إلغاء القديم كله، واجتثاث الإنسانية من أصولها، ذلك أن القضية توضع وضعاً غير صحيح من أساسها، فليس ثمة أدب للملوك، قُصِر عليهم وإنما الملوك وأصحاب الثراء اتـخذوا وسائل لإنتاج الأدب في بعض الظروف[3]، وليس يعنينا في الأدب القديم صدق الشعراء أو كذبهم بالقياس إلى الذين كانوا يمدحونهم من الملوك والأمراء «وإنما المهم أن يصدق الشعراء في تصوير المثل العليا فيما ينشئون من مدح وثناء؛ لأن المادحين والممدوحين يذهبون، وتبلى أشخاصهم، ولكنّ المثل العليا، التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس ما بقي الناس»[4].

وقد استدل على فساد المنطق في هذه الدّعوة بأنّ الأمم المختلفة

(١) خصام ونقد: ٥٤
(٢) المصدر نفسه: ٥٠ .
(٣) المصدر نفسه: ٥٠
(٤) المصدر نفسه: ٥١

وليس الأمر في شعر المدح مقصوراً على الأدب العربي، وإنّما هو موجود في كلّ أدب عالمي قديم حي، مثل الأدب اليوناني، فقد «انقضت الألعاب الأولمبية اليونانية، وانقضى المستبقون فيها من السادة والطغاة منذ قرون طويلة جداً، ولكننا ما زلنا نقرأ شعر «بندار» ونعجب به، ونحرص عليه إلى الآن»[(١)].

وما دام الأدب العربي القديم ليس كله شعر مدح، وما دام هذا القسم الضئيل منه ليس موجّهاً إلى الممدوح وحده، وإنما كان الشعراء فيه يقصدون أيضاً إلى انتزاع إعجاب الناس كافة، وآية ذلك أنّ نماذجه الجيدة قد عاشت منذ قرون[(٢)]، وما زالت إلى الآن قادرة على انتزاع إعجاب القراء ما دامت حقيقة الأدب العربي القديم هي هذه فكيف يستقيم القول: إن هذا الأدب لم يصوّر الحياة؟

لقد رأينا طه حسين في عام ١٩٢٥ يرد على زعم سلامة موسى أنّ الأدب العربي القديم لا يلائم الذوق الحديث بقوله له: «القدماء لم يضعوا أدبهم لنا وإنما وضعوه لأنفسهم، وليس من شك في أن هذا الأدب كان يلائم أذواق القدماء، وحاجات أنفسهم»[(٣)]، وها هو ذا بعد الثورة، أو بعد أكثر من ربع قرن، يردّ على زعمه أن الأدب القديم لم يصوّر الحياة بكلام مقارب، وبمنطق مشابه، مما يدل على أن موقفه من الأدب العربي القديم قد ظل ثابتاً على الزمن، قال يخاطبه: «لا تقلْ إنّ الأدب القديم لم يكن يصوّر الحياة، بل قل:

(١) خصام ونقد: ٤٩

(٢) انظر المثل الشعري الذي ضربه للمدح الجيد، ليدلل على صحة ما ذهب اليه في «خصام ونقد»: ص ٥٠ - ٥١

(٣) حديث الأربعاء: ٩٩، ج٣

إنّه لم يصبح مصوّراً لحياتنا نحن»[1]، وإذن فلا ماخذ على هذا الأدب من هذه الناحية؛ لان من الحماقة أن نطالب الأدب القديم بان يكون مصوّراً لحياتنا في هذا العصر.

والحق انّ طه حسين لم يكتفِ بإثبات تهافت هذه الأسباب التي يتذرّع بها سلامة موسى بين حين وآخر؛ لتسويغ دعوته الخطيرة، وهي ازدراء الأدب العربي القديم والإعراض عنه، وإلغاؤه، وإنما هو قد نبّه إلى سبب دعوته إلى هذه الدعوة في ذلك الوقت بعينه، كما قد نبّه إلى حقيقة مقصده الذي يخفيه وراء هذه الدعوة القديمة الجديدة

امّا سبب عودته القوية إلى هذه الدعوة في ذلك الوقت، وتذرّعه بهذه الحجة الواهية بعينها وهي أن الأدب العربي القديم أدب ملوك فما ذاك إلا لان سلامة موسى واشياعه من المتملقين لرجال الثورة، المتزلّفين إليهم[2]، قد رأوا الناس يجهرون بكراهية الملوك في تلك الحقبة، لسوء آثار الملوك فيهم، قال: «ولأن الثورة قد طردت ملكاً فلا يجدون بأساً في أن ينتفعوا بهذه الظروف، ليروّجوا لدعوتهم، ويزيدوها إلى الناس قرباً، وإلى قلوبهم حباً»[3].

وامّا مقصده الذي يخفيه وراء هذه الدعوة القديمة المتجدّدة، تحت ستار هذه الحجة أو تلك، فهو أن سلامة موسى - وهو قبْطِيّ - يكره في الحقيقة الهويّة العربية، وكل ما تقوم عليه من اسس،

(١) خصام ونقد: ٤٩

(٢) انظر المصدر نفسه: ٥٣، ٦٧

(٣) المصدر نفسه: ٥٣ .

وأقوى هذه الأسس الأدب العربي واللغة الفصحى ولكن طه حسين لا يتردّد في مصارحته بأن خصومته للأدب العربي القديم هي خصومة سخيفة[1]؛ ذلك أنّه لن يضير الأدب العربي، ولن يغضّ منه أن يكيد له فلان أو يسخط عليه، فقد عملت أجيال عدة من الناس في قرون طويلة من الدهر على أن تغضّ من هذا الأدب فلم تصنع شيئاً «لم يغض منه تسلط الترك، ولا غارات التتار، ولا الحروب الصليبية، وإنما قاوم هذا كله مقاومة رائعة، وانتصر على هذا كله انتصاراً رائعاً، واستأنف من الحياة والقوة، والخصب ما يملأ الأرض به جمالاً ونوراً»[2].

وأما مطالبة سلامة موسى وأشياعه بوجوب ظهور الأدب الثوري في سرعة فائقة فيرد طه حسين عليها قائلاً: إنها مطالبة تدل على التسرّع، والتكلّف، ولا تقوم على الأناة والروية والتفكير السليم العميق؛ ذلك أن الأدب الثوري لا يظهر بين عشية وضحاها، وإنّما يحتاج إلى بطء وأناة، فالإسلام حين ظهر لم يغيّر الشعر العربي الجاهلي تغييراً خطيراً إلاّ بعد ظهوره بنصف قرن، والثورة العباسية لم تستطع أن تنشيء أدبها العباسي الخالص إلا بعد أكثر من خمسين سنة ويمكن القول: إن الثورة الفرنسية قد مهد لها أدب القرن الثامن عشر لكنها لم تنتج أدبها الخاص بها إلا في أواسط القرن التاسع عشر ويمكن قول هذا أو مثله في أدب الثورات الحديثة الأخرى[3]، وإذن «فالذين كانوا ينتظرون أن

(١) خصام ونقد: ٦٨ .
(٢) المصدر نفسه: ٦٩
(٣) المصدر نفسه: ٣٨ ـ ٣٩ .

يصبحوا في الخامس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ وبين أيديهم ادب جديد يلائم الثورة ويطابقها يخطئون أشد الخطأ وأشنعه»[١] وإذا كان النقاد العرب القدامى قد أدركوا هذه الحقيقة، حين عرضوا لضعف شعر حَسّانٍ في الإسلام، بالقياس إلى شعره في الجاهلية، وعرضوا لاعراض لَبِيد عن قول الشعر فقد أثبتوا بهذا أنهم «افقه بالحياة، وأحسن لها فهما وتقديراً من هؤلاء المعاصرين، الذين يخطفون أحكامهم خطفاً، ويظنون أن ظواهر الحياة خاضعة لسلطانهم، يدعونها فتستجيب، ويهملونها فتنتظر، ويرجئونها فترجىء نفسها»[٢].

ويُلاحَظ أن طه حسين وهو يدافع عن الأدب العربي القديم، ويبيّن زيف الدعوة إلى الإعراض عنه وإهماله، قد لفت سلامة موسى إلى أنه لا يستطيع أن ينكر أنه (أي طه) من المعجبين بالأدب الأوروبي الحديث، والداعين إلى الاطلاع عليه، ولكنّ هذا الإعجاب لا يستلزم ازدراء الأدب العربي القديم، لأن نهضة الأدب العربي الحديث قد قامت حقاً «على إحياء الأدب العربي ودرس الآداب الأوروبية الحديثة وستقوم دائما على هذين العنصرين من عناصر الحياة الخصيبة»[٣]، بل ان طه حسين يلاحظ ان حياة العرب القدماء او حياة الامة الاسلامية القديمة قد قامت على احياء الادب العربي، ودرس الثقافات الاجنبية التي عرفتها في تلك العصور يقول في انتماء واضح وصادق الى العروبة والاسلام:«فنحن نسلك نفس

(١) خصام ونقد: ١٥٠
(٢) المصدر نفسه: ١٥٠
(٣) المصدر نفسه: ٧٠

الطريق التي سلكها القدماء، نقيم حضارتنا الحديثة على ما اقام القدماء عليه حضارتهم تلك المزدهرة»[1].

هذه هي السبيل الحقة الى نهضة الادب العربي الحديث، وهي سبيل ليست بخافية على سلامة موسى، لولا ان لديه هدفا يخفيه، لكنه يدفعه الى مهاجمة الادب العربي القديم بين حين واخر، وهذا الهدف هو عيب العرب وكل ما يمت اليهم بسبب ادبي او ثقافي او حضاري، واذن فسلامة هو في حقيقته (شعوبي) محدث، او هو راس (الشعوبية) الحديثة في مصر، التي بدات تطل منذ بداية هذا القرن، يقول طـه حسين مشيرا اليه في جراءة وصراحة، وقد جهر بانه يريد ان يلم بموضوع الهجوم على الادب العربي القديم، الذي اخذ يظهر في الميدان الثقافي وقت ذاك: «انا في هذا الالمام اريد شخصا بعينه، وهو يعرف نفسه وقد يعرفه كثير من الناس، دون ان احتاج الى تسميته، وهذا الموضوع الذي اريد ان الم به هو هذه (الشعوبية الحديثة) التي اخذت تمعن في هذه الايام في لون من العنف لااعرف له موضعا ولا موضوعا، فالادب العربي عند هذا الاستاذ هباء كله، لايغني عن الناس شيئا،... والطلاب في المعاهد والجامعات اشد حاجة الى ان يدرسوا فولتير وروسو وبرناردشو .. منهم الى ان يدرسوا ادبنا العربي ذاك الذي بعد به العهد وطالت عليه القرون»[2].

وقد ادرك سلامــة موسى في يسر انه يعنيه بهذا الكـلام دون

(١) خصام ونقد: ٧٠ .
(٢) المصدر نفسه: ٦٨ ـ ٦٩ .

غيره، فاندفع يهاجمه، محاولا استعداء قادة الثورة عليه، قائلا: «لقد اتهمني الدكتور طه حسين بالشعوبية او كاد، وكانه نسي كفاحي لاجل الشعب، ضد فاروق الفاسد هذا الفاروق الذي وقف الدكتور طه حسين نفسه في حرم الجامعة ومنبرها يخاطبه بالصوت العالي بقوله: يا صاحب مصر»[١].

ويبدو ان طه حسين لم يكن يخفي ان سلامة موسى في نقده الادبي كان يصدر احيانا عن موقف معاد للدين الاسلامي ونبيه الكريم، ذلك ان سلامة موسى نفسه يذكر لنا انه حين نقد شعر شوقي قد تناهى اليه ان طه حسين قد قال: «.. ان جريمة شوقي في نظر سلامة موسى هي في هذه القصائد التي تغنيها ام كلثوم، اي قصائد شوقي في مدح الرسول»[٢].

ولذا فقد اندفع يهاجم طه حسين، مكررا القول: إنه خاطب الملك فاروق بقوله: يا صاحب مصر[٣]، وهي كلمة - كما نرى - لاتدل على شيء وانما تقرر حقيقة كانت واقعة، كذلك رد على دفاعه عن الادب العربي القديم بقوله: «ادب الملوك والامراء والباشوات هو هذا الادب الذي يدعو اليه الدكتور طه حسين»[٤].

ولعلنا نلاحظ كم في هذا الكلام من بعد عن الحقيقة، بل ان سلامة موسى نفسه لم يكن يعني في الغالب ما قال حقا، وانما جلّ

(١) سلامة موسى، الادب للشعب: ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه: ١٩٠ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ٥٨، ٥٩ .
(٤) المصدر نفسه: ٤٣

ما كان يعنيه هو تشويه صورة خصمه في نظر الثورة الجديدة، لإسقاطه، واستعداء قادتها عليه.

ولكن تاريخ طه حسين الزاخر بمواقف النضال في سبيل حرية مصر والدستور الديمقراطي، المعروف بسخط القصر عليه، كان اشهر من ان يخفى على الثورة وقادتها، ولذلك احتفت به في بداية قيامها، كما لاحظ نعمان عاشور[١]، ثم اعربت عمليا عن هذه الحفاوة؛ إذ منحته جائزة الدولة التقديرية عن الاداب عام١٩٥٨، في اول عام منحت الدولة فيه هذه الجائزة، فكان اول مصري يحصل عليها[٢].



التباين بين شخصيتي طه وسلامة:

وبعد .. فلعلنا لاحظنا ان القضايا التي دارت حولها المحاورات بين طه حسين وسلامة موسى كانت هي: الادب العربي القديم وملاءمته للذوق الحديث، والثقافة اللاتينية والسكسونية، وشخصية ابي نواس واسباب شذوذها، والقصة المصرية والادب المصري الحديث، ثم الادب الثوري وزمن ظهوره، والادب العربي القديم وعلاقته بالملوك والامراء .

ويمكن القول في حيدة وموضوعية: إن آراء سلامة موسى في هذه القضايا كانت تقوم في الغالب على التسرع والتطرف وحب

(١) انظر مقالته، لقاء مع طه حسين: ص٢٢، مجلة الدوحة العدد (٥١) .

(٢) د. عبده بدوي ورفاقه، طه حسين وقضية الشعر: ١٢ .

الاثارة اكثر من قيامها على المنطق المقنع، او الفكر المستقيم على النقيض مما لاحظناه عند طه حسين، ولاريب ان اهم القضايا التي دار حولها الحوار كانت قضية الدعوة الى ازدراء الادب العربي القديم والاعراض عنه، ففضلا عن خطر القضية ذاتها لاحظنا ان المحاورة حولها قد كشفت مدى التباين الكبير بين شخصيتي طه حسين وسلامة موسى، من حيث الاهداف ومنطلق التفكير والموقف من العربية وادبها وثقافتها، وهو تباين يظهر في وضوح انهما على طرفي نقيض؛ إذ شتان بين سلامة موسى المتعصب على العربية الفصحى، الداعي الى العامية المصرية، المنكر لعروبة مصر، الهازىء بالوحدة العربية والاسلامية[1]. وبين طه حسين المتعصب للعربية الفصحى - على نحو نقده الادب المعاصر - والذي كان يحارب العامية محاربة شديدة، ويدعو الى التمسك بالعربية الفصحى؛ لانها عماد الوحدة العربية، ولانها لغة حيّة متطورة لاتجوز مقارنتها باللاتينية الميتة[2]، حتى بلغ به الامر ان قال ذات مرة في احدى المقابلات: «.. من يحسن العربية ثم يتحول عنها الى العامية فهو عندي آثم في دينه ومقصر في ذات وطنه لان اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، ولغة التراث الاسلامي والعربي المجيد .. وهي مقوم من مقومات الحياة، لانها تجمع الامة العربية في جميع اقطارها، ولانها تتيح لادبنا العربي، وثقافتنا العربية أن تشيع»[3].

(١) وهو في هذا كله لايتستر، وانما يجهر جهراً، كما نجد في كتبه: «اليوم والغد» و «البلاغة العصرية» و «الأدب للشعب» وانظر مقالة عباس خضر، هل أنا غبي: ١٣٨ - ١٤٠، مجلة الدوحة، العدد (٤٢)، وانظر ايضاً كتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين: ٢٢٤ - ٢٢٨

(٢) انظر كتاب «خصام ونقد»: ١٧٩ - ١٩٤ .

(٣) د. عبده بدوي ورفاقه، طه حسين وقضية الشعر: ٣٥

وشتان بين سلامة موسى، الذي رأيناه يلحّ في الدعوة الى نبذ الادب العربي القديم، والاعراض عنه، ويدعو الى الاقبال على الثقافة الاوروبية والفناء فيها[1]،... وبين طه حسين الذي نجده يجهر بالقول في وضوح، وانتماء عميق اصيل «... نحب لادبنا القديم ان يظل قواما للثقافة، وغذاء للعقول، لانه اساس الثقافة العربية فهو اذن مقوم لشخصيتنا، محقق لقوميتنا، عاصم لنا من الفناء في الاجنبي، معين لنا على ان نعرف انفسنا»[2]. كما يكرر القول: «نحب ان يظل ادبنا القديم اساسا من اسس الثقافة الحديثة؛ لانه صالح ليكون اساسا من اسس الثقافة الحديثة، ونحب ان يظل ادبنا القديم غذاء لعقول الشباب، لان فيه كنوزا قيمة تصلح غذاء لعقول الشباب، والذين يظنون ان الحضارة الحديثة قد حملت الى عقولنا خيرا خالصا يخطئون، فقد حملت الحضارة الحديثة الى عقولنا شراً غير قليل»[3].

وإذن فالاختلاف اساسي جوهري بين الناقدين على نحو ما راينا، وإذن فنحن ندهش اشد الدهش، حين نرى بعض خصوم طه حسين، المتعصبين عليه، لايتورعون عن تشويه الحقيقة، وتضليل القراء اذ يوهمونهم - صادقين مع انفسهم او غير صادقين - بان طه حسين وسلامة موسى هما واحد من حيث معاداة العروبة، واللغة الفصحى والثقافة العربية، ومن حيث الدعوة الى الثقافة الاوروبية، والفناء فيها، وذلك كما فعل الدكتور محمد محمد حسين

(١) انظر كتابه «الأدب للشعب»: ٣٩ - ٥٦، و٥٧ وما بعدها
(٢) حديث الاربعاء: ١٣ ، ج١
(٣) المصدر نفسه: ١٣، ج١ .

في كتابه «الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر»، فهو لم يكتف بان قرن احدهما الى الاخر وانما ذهب الى أن طه حسين اشد خطراً من سلامة على العروبة والفصحى والثقافة العربية[1]، وقد عمد لاثبات هذا الى كتاب بعينه من كتبه، ثم راح يبتر النصوص منه بترا، ويتعسف في تاويلها تعسفا، متذرعا بأن ظاهر الكلام لايخدعه، وانما الذي يهمه هو ما خلف السطور[2]، ولكنه في اثناء التاويل بدا وكأنه عليم بذات الصدور[3]، وسنعرض لهذا كلّه على نحو مفصّل.

(١) انظر كتابه «الاتجاهات الوطنية»، ج٢: ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩

(٢) انظر المرجع نفسه، ج٢، ٢٢٩ .

(٣) انظر المرجع نفسه: ٢٣٥، ٢٤١، ج٢، والكتاب الذي تناوله هو «مستقبل الثقافة في مصر» ولم يشأ الدكتور محمد محمد حسين ان يستأنس بما كتب طه حسين قبل هذا الكتاب أو بعده او خلال حقبة صدوره، علما اننا نلاحظ ان آراء طه حسين في مختلف القضايا تبدو متسقة على مرّ الزمن، ويتجلى لنا تعسف الدكتور محمد في التأويل إذ يثبت نصوصاً من الكتاب، يجهر فيها طه جهراً بأنه عدو للعامية، وعدو لفكرة كتابة العربية بالحروف اللاتينية، ولكن الدكتور محمد يصرّ في تأويلها بأنها ستار يستر به طه حسين قصده الى وأد الفصحى؛ لانه يدعو في الوقت نفسه الى تيسير قواعد نحوها واملائها، وهنا ينبغي ان نتنبه الى أن الدكتور محمد محمد حسين يعارض مبدأ تطور العربية ونمائها وتيسير قواعد نحوها واملائها (أنظر كتابه المذكور، ج٢، هامش الصفحات: ٢٣٩ - ٢٤١). ولو استأنس الدكتور بنصوص كثيرة، عرضنا لها في هذا البحث، وكلها تثبت دون شك صدق طه حسين في محبة الفصحى وعداوة العامية، بل لو استأنس بمقالة واحدة لطه، عنوانها «بين الفصحى والعامية»، ضمنها كتابه «خصام ونقد» ١٧٩ - ١٩٤، وهو كتاب صدر في عام ١٩٥٥، أي قبل كتابه بسنة واحدة فقط؛ إذن لأيقن هو نفسه بأنه يتعسف في التأويل، ويجور عن الحق، ويظلم طه حسين أيما ظلم، ولكنه على الرغم من طباعة كتابه مرارا - لم يحاول شيئاً من هذا.

محاورة المازني

لم يعن طه حسين بنقد ابراهيم المازني عنايته بنقد صديقه العقاد، اذ يكاد نقده إياه يقتصر على التفاتات عابرة، ابداها وهو يتحدث عن شعر مدرسة الديوان عامة[١]، فحين القى محاضرة عن ابن الرومي في عام١٩٣٣[٢]، التفت في ختامها الى دراسته في الشاعر، ليقول: «والمازني قد يكون اكثر استشهادا بشعر ابن الرومي من العقاد، ولكنه كالعقاد يقف عند شخصية ابن الرومي اكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني»[٣].

اما المازني فقد بادر الى نقده غير مرة، فعندما نشر الجزء الاول من كتابه «حديث الاربعاء» عام١٩٢٥، وكان يضم مقالات عن شعراء العصر العباسي الاول[٤]، تناوله المازني باسلوب يمتزج فيه النقد بالسخرية القصصية الخيالية، وقد ذهب الى ان لطه حسين شغفا خاصا باصحاب الفسق والمجون من امثال ابي نواس وبشار والحسين بن الضحاك، وهذا له دلالةَ ما على نفسيته، قال: «ان الدكتور لم يزدنا علما بالعصر العباسي، ولم يضف الى ما نعرفه عنه جديدا، فلو لم يكتب هذه المقالات لما فاتنا شيء يذكر .. ولكن هذه المقالات كشفت عن جانب من جوانب نفسه هو،.. وهذا هو الذي ربحناه»[٥]

(١) انظر كتابه «تقليد وتجديد»: ١٣٥وما بعدها .
(٢) من حديث الشعر والنثر: هامش، ص٨١ .
(٣) المصدر نفسه: ١٥٠ .
(٤) د. جابر عصفور، المرايا المتجاورة: ٤٩٧ .
(٥) المازني، قبض الريح: ٣٣، دار الشعب - القاهرة - ١٩٧١

ويبدو ان طه حسين لم يعبا بهذا النقد، ذلك انه لم يرد عليه، ونحسب ان السبب يعود الى انه رآه يفتقر الى الجدية والبراءة، ويجنح الى الثلب والهجوم؛ فليس صحيحا ان دراسة طه حسين في شعراء الخمر والمجون لم تاتِ بجديد، اذ يلاحظ انها كانت دراسة رائدة، قدم طه حسين فيها منهجه الجديد الى القراء تقديما مباشرا[1]، ثم قدمه عمليا من خلال الدراسة نفسها، ثم خلص في النهاية من خلاله الى نتائج جديدة، وهي ان هذه المدرسة الشعرية العباسية تشخص عصرها، فتثبت انه كان عصر شك ومجون، والذي يدل على ان هذه النتائج كانت جديدة على القراء والادباء هو انها اثارت ضجة احتجاج، ولو انها كانت عادية -كما حاول المازني ان يوهم - لما استطاعت ان تبدو مثيرة في حينه، واما قوله: ان تناوله لشعراء الخمر والمجون يكشف عن جانب من جوانب نفسه، فهو قول يقصد به الى الثلب والتجريح، ولا يقصد به الى النقد الصحيح؛ لان اختيار طه حسين هؤلاء الشعراء لدراستهم، لم ياتِ استجابة لميل في نفسه، وانما جاء نتيجة لاعتقاده بان شعرَ هؤلاء في الخمر والتغزل بالغلمان يمثل الجديد الذي طرأ على الشعر العربي في عصرهم[2]، فهو كما نلاحظ في دراساته له شغف برصد الجديد الشعري في كل عصر من عصور الادب العربي ودراسته، وليس له شغف بدراسة المجان من الشعراء، وثمة امر لافت كان خليقا ان يلفت المازني لو انه قصد الى الجد والانصاف في نقده، وهو ان طه حسين في دراسته شعراء المجون قد ذهب الى انه وجد نفسه بين

(١) انظر «حديث الاربعاء»: ٥٣، ج٢ .
(٢) انظر المصدر نفسه: ٣٢، ٩٩، ج٢

شاعرين كبيرين قد أصيبا بهذه الآفة التي أصيب بها، وهما بشار وابو العلاء، اما بشار فقد جهر بأن روحه لايوافق روحه[١]، بل ذهب الى القول: «مهما تكن لبشار الاشعار الجياد البارعة، فانا لاحبه، ولااميل اليه»[٢]، واما ابو العلاء فقد ذهب الى ان نفسه خليقة بالحب[٣]، وكان في دراساته الاخرى يتحدث احيانا عنه بوصفه مثله الاعلى، الذي يحبه، ويفضله على جميع الشعراء[٤]، واذن فهو لاسباب تتصل بالسلوك والتفكير كان ينفر من بشار الماجن الخليع ويؤثر ابا العلاء الزاهد المتقشف؛ ولذا توفر على دراسته اكثر من توفره على اي اديب او شاعر اخر، وما من شك ان هذا له دلالة بالغة على نفسية طه حسين، ولاريب ان هذا ايضا ينقض ما حاول المازني ان يدعيه عليه من الناحية النفسية.

والطريف ان المازني في اكثر مقالاته قد مهد تمهيدا خياليا ساخرا للنقد، اذ ذهب الى انه حين كتبه كان في الصحراء، وهناك التقى «سحلية»، بينه وبينها علاقة صداقة ومحبة، وبعد ان حاورها وحاورته طويلا، اقترحت اخيرا عليه النقد، واذن فنقده هو من وحي «سحلية» من سحليات الصحراء[٥].

والحق ان المناقشة الجادة لنقده تظهر تهافتـه - على نحو ما راينا - بل نحسب انه ما كان يستحق منا المناقشة الجادة، لولا ان

(١) حديث الأربعاء: ١٨٨، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه: ١٩٨، ج٢ .
(٣) انظر المصدر نفسه: ١٨٩، ج٢
(٤) انظر كتاب «مع أبي العلاء في سجنه»: ٦٥١ - ٦٥٢ (من تاريخ الأدب العربي - المجلد الثالث) ومذكرات طه حسين، ١٦٦، ١٧٣
(٥) انظر كتاب المازني «قبض الريح»: ٣٠ - ٣٣ .

المازني ناقد مشهور من جهة، ولولا ان خصوم طه حسين من جهة اخرى، قد تعلقوا بهذا النقد، وراحوا يكررونه كله أو بعضه، وكانه حقيقة مسلّم بها، وياتي في طليعة هؤلاء الخصوم انور الجندي، وهو عيال في ما يكتب على آراء اساتذته من مدرسة الرافعي؛ ولذا نجده في ما كتِب عنه من مقالات او كتب يردد آراءهم دون تحرّ للحقيقة، اذ حسبه من هذه الآراء التي يرددها انها تحقق ما يقصد اليه، وهو ثلب طه حسين وتجريحه، وإظهاره في مظهر المارق المتحلل، وتصويره في صورة المتنكر لادب العرب وثقافتهم، والمبشر بثقافة الغرب وحضارته، وخير شاهد على صدق ما نذهب اليه أنّا نجده قد عمد الى النقد السابق، فاورده كحقيقة لاياتيها الباطل، مرددا ان المازني قد لاحظ ان طه حسين يقصد في دراساته قصدا الى تعقب الزناة والفجرة والفساق[1]، منطلقا من هذا التقرير في غير موضع من كتاب له ان رسالة طه حسين النقدية والادبية هي في الحقيقة إشاعة روح الفسق والفجور والانحلال في المجتمع العربي[2].

☆ ☆ ☆

وقد تعرض المازني لطه حسين مرة ثانية؛ إذ تناول أسلوبه الادبي، فذهب الى انه اسلوب غير كتابي، وانما هو اسلوب خطابي؛ لانه يمليه املاء، قال: ولأنه «الف ان يملي كتبه ورسائله ومقالاته، فان كتبه وحديثه حين يجدّ في مستوى واحد، كائناً ما كان ذلك المستوى»[3]، كذلك ذهب الى ان هذا الاسلوب يفتقر الى مزايا

(١) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين: ١١ .
(٢) المرجع نفسه: ٢٩، ٤٧ – ٤٩ .
(٣) المازني، قبض الريح: ٢٥ .

الخطابة، افتقاره لمزايا الكتابة[1]، وأن أظهر عيوبه «هو التكرار والحشو، وما هو منهما بسبيل»[2]، وقد رد هذا العيب الى سببين هما: الآفة التي اصيب بها، وادت الى فقد بصره ثم اشتغاله بالتدريس «والتعليم مهنة تعود المشتغل بها التبسط في الايضاح والاطناب في الشرح والتكرير ايضا»[3].

ولكن طه حسين لم يعبأ بهذا النقد ايضا، وانما اهمله، ولم يرد عليه.

ونحسب أن السبب يعود الى انه رآه كالنقد السابق هدفه الأول والأخير النيل واللمز فقد حرم المازني أسلوب طه حسين من كل ميزة جمالية بل رماه في النهاية بالسطحية وبتجنب التعمق والغوص ، شانه في ذلك شان كل مدرس جامعي [4] أو غير جامعي واذا كان الحكم العام في أسلوب كاتب من الكتاب بأنه جميل أو غير جميل يعود في الغالب الى الذوق فيمكن الاعتراض على حكم المازني بان كثيرا من الكتاب والنقاد غيره قد حكموا لاسلوب طه حسين بالجودة والجمال بل حكم بعضهم له بأنه فريد متميز من الاساليب الادبية القديمة والحديثة كما مر بنا في الفصول السابقة ويكفي ان نذكر هنا ان طه حسين هو الاديب المعاصر الوحيد الذي حظي أسلوبه في كتاب واحد بعينه هو كتاب "الايام" بدراسة لغوية كبيرة قام عليها كتاب "أسلوب طه حسين في ضوء الدرس

(١) قبض الريح: ٢٦ – ٢٧
(٢) المرجع نفسه: ٢٧
(٣) المرجع نفسه: ٢٨
(٤) المرجع نفسه: ٢٨

اللغوي الحديث "للدكتور البدراوي زهران وقد خلص من دراسته العلمية اللغوية الى القول عن هذا الاسلوب انه "أشبه بأنغام الموسيقى وأدواتها فكما تتعاون تلك الآلات والانغام كذلك تتآزر الصفات (اللغوية) عنده، وتتناسق عن طريق اختيار الالفاظ والمراوحة بينها فيحدث غرضه ذلك الذي يقصد اليه قصدا فيجيء أسلوبه متزنا كاملا يرضي الاذن ويتغلغل في جوانب النفس وينبيء عن ذاكرة حافظة[1] وقد رد هذا كله الى اذنه المدربة وحسه اللغوي الدقيق في الملاءمة بين الالفاظ مع ملاحظة ان البديع في اسلوبه يعد ثانويا على الرغم من وفرته [2].

ويكفي ان نذكر ايضا ان الدكتور ناصر الدين الاسد لا يرد قوة التاثير والاقناع في كتابه "في الشعر الجاهلي" الى علمية الادلة ومنطقية الحجج التي يقدمها وانما يردها الى ان طه حسين يسوق هذه الادلة والحجج " في اسلوبه الاخاذ الذي يلف القارىء به لفا حتى يكاد ينسيه نفسه ويصرفه عن مناقشة رايه"[3]... ولكن مالنا نذهب بعيداً وقبل قليل مر بنا رأي العقاد في أسلوب طه حسين وهو صديق المازني وزعيم مدرسته النقدية، فقد ذهب في تحليل هذا الاسلوب مذهبا هو أقرب إلى روح العلم وأدنى الى الحيدة والإنصاف من مذهب المازني ذلك ان هذا الاسلوب في رايه يجمع بين الحديث والكتابة معا وجاء ثمرة اطلاع واسع على الادبين: العربي

(١) د. البدراوي زهران، أسلوب طه حسين في ضوء الدرس الحديث: ٢٧، دار المعارف – ١٩٨٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧ .

(٣) د. ناصر الدين الأسد «مصادر الشعر الجاهلي»: ٣٨٠ .

والاوروبي ولكنه اول اسلوب من نوعه في الادب العربي وليس فيه محاكاة لاسلوب اخر في اللغات الاوروبية ولذا نجده لا يتردد اخيرا في تقرير حقيقة يحاول بعضهم ان يجحدها من أمثال صديقه المازني وهي ان هذا الاسلوب قد "استقل بابتداعه طه حسين ولو غضب المنكرون»[1] وهذا وحده يعد في الادب العربي الحديث فتحا قديرا[2].

☆ ☆ ☆

وبعد عدة سنوات عاد المازني فتعرض لطه حسين مرة اخرى، اذ تناول تصديرا كان قد كتبه لديوان عزيز اباظه «أنات حائرة»، وذلك في عام ١٩٤٣، وكان طه حسين في هذا الوقت مديرا لجامعة الاسكندرية، ومستشارا فنيا لوزارة المعارف، وقد ذهب في كلمته الى انه لم يفهم من تصدير طه حسين شيئا، ذلك ان كلامه فيه لامحصول وراءه، ولايعرف له رأس من ذنب، كذلك ذهب الى ان طه المشغول بمناصبه الكبيرة، وباللجان الكثيرة التي هو عضو فيها، قد تراجع في مستواه الادبي؛ لانه لايملك الوقت الكافي كي يواظب على التحصيل، وتغذية عقله ونفسه، وهو مالاغنى لاديب عنه ثم تساءل: لماذا لايستقيل من المناصب واللجان كلها او بعضها، ليعطي الادب حقه من الوقت الكافي فهذا خير له من ان يخسره الادب، ولاتكسبه الحكومة؟[3].

ويبدو ان طه حسين قد ضاق بالمازني وبنقده هذه المرة؛ ولذا رد

(١) انظر «طه حسين للعقاد» مجلة الهلال: ١٠٢١ .

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٢١ .

(٣) انظر مقالة المازني، نقد أسلوب طه حسين - صحيفة البلاغ - عدد يونيه الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥ وانظر أيضاً مجلة الرسالة: ٦٢٦، عدد ٩ أغسطس ١٩٤٣ .

عليه ردا عنيفا مفعما بالغضب والسخرية، واذا كان المازني في هذه الحقبة لم يكن يشغل آية وظيفة، فقد ذهب الى القول: انه ياسف لان الحكومة لم تكل للمازني عمله في وزارة المعارف، وعمله في جامعة الاسكندرية. كما يأسف اشد الاسف، لان الشاعر عزيز اباظة لم يطلب اليه ان يكتب التصدير لديوانه، ولو فعل لكتب كلاما له المحصول كل المحصول، وله رأس كقمة الجبل، وذنب كالذنب الذي خوّف به المنجمون المعتصم حين همّ بفتح عمورية، ثم لفت المازني الى قصة ابي العلاء في مجلس الشريف المرتضى، ثم استأذنه في ان يسرق من هذه القصة شيئا، لان السرقة في الادب مباحة اذا كانت في العلن، فهي تشبه حينئذ السطو، ثم سال المازني ان يقرأ سورة الفلق، وان يقرأ مطولة لبيد ومطولة طرفة وعينية سويد بن ابي كاهل التي مطلعها :

«بسطت رابعة الحبل لنا   فوصلنا الحبل منها ما اتسع»

ورائية الاخطل التي مطلعها :

الا يا اسلمي ياهند هند بني بدر   وان كان حيانا عدا آخر الدهر

ولاميّة المتنبي التي مطلعها :

«بقائي شاء ليس هم ارتحالا   وحسن الصبر زموا لا الجمالا»

واذا كان طه حسين يؤثر الوضوح في ما يكتب، فقد التفت في النهاية الى القراء معتذرا؛ لانه عمد الى اللغز في رده، وعذره انه هذه المرة لايكتب لهم، وانما يكتب للمازني وحده، كما انه سلك سبيل المازني، الذي لم يبين لهم لماذا لم يفهم التصدير، وهم الذين لم

يقرأوه أيضا، ثم ختم رده بانه يحب ان يستقيل من مناصبه، ولكنه يريد ان يستيقن قبل ذلك من ان الحكومة ستضع المازني مكانه[١].

☆ ☆ ☆

وقد كان يمكن ان تظل الألغاز التي قصد اليها طه حسين في رده مبهمة على القراء، لولا ان الدكتور زكي مبارك آثر شرحها لهم، وتوضيح المقصود منها[٢]، فقد قصد طه من سورة الفلق ان يقرأ المازني قوله تعالى فيها «ومن شر حاسد اذا حسد»، وقصد من معلقة لبيد قوله[٣]:

«فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها»

«واذا الامانة قسمت في معشر أوفى بأعظم حظنا قسّامها»

وقصد من عينية سويد قوله[٤]:

«رب من انضجت غيظاً قلبه قد تمنى لي موتا لم يطع»

«ويراني كالشّجا في حلقه عسرا مخرجه ما ينتزع»

وقصد من رائية الاخطل قوله[٥]:

(١) انظر مقالته «رد على نقد»، البلاغ، عدد ١٩٤٣/٦/٢٦ وانظر ايضاً الرسالة: ٦٢٧، عدد (٩) أغسطس ١٩٤٣ .
(٢) انظر مقالته: «الحديث شجون»، الرسالة: ص٦٢٦، عدد (٩) أغسطس ١٩٤٣ .
(٣) المرجع نفسه: ٦٢٧ .
(٤) المرجع نفسه: ص٦٢٧ .
(٥) المرجع نفسه: ٦٢٧

«تنق بلا شيءٍ شيوخ محاربٍ
وما خلتها كانت تريش ولاتبري»

«ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
فدلّ عليها صوتها حية البحر»

وقصد من لامية المتنبي قوله[1]:

«أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا»

«ومن يك ذا فم مرٍ مريض يجد مرأ به الماء الزلالا»

ونلاحظ ان الدكتور زكي مبارك لم يذكر للقراء قصة ابي العلاء، مع الشريف المرتضى، ولكنه حين عرض لقول طه حسين: انه يريد ان يسرق من هذه القصة شيئا «فالسرقة في الادب مباحة، ولاسيما حين تكون في العلن، لا في السر، وهي حينئذ اشبه بالسطو»[2] قد اكتفى - ربما مراعاة لشعور صديقه المازني - بقوله: «كان يستطيع ان يقول انه (يستعير) قصة ابي العلاء مع الشريف، و(يستعير) هي اللفظة المطلوبة في هذا الموقع، ولكنه قال: انه (يسرق) ليندد بالاستاذ المازني، ولم يكتفِ بذلك، بل جعل سرقته علنية، وهي حينئذ أشبه بالسطو»[3].

واذن فالقصة، وما اخذ طه حسين منها، وما يرمي اليه من قوله: ان (أسرق) او (اسطو)، هذه الامور كلها - على الرغم من

(١) الحديث شجون: ٦٢٧
(٢) المرجع نفسه: ٦٢٧ .
(٣) المرجع نفسه: ٦٢٧ .

اهميتها - لم يحاول الدكتور زكي مبارك إيضاحها.

اما قصة ابي العلاء مع الشريف المرتضى، فتقوم على تعصب الاول للمتنبي، وكراهية الثاني إياه، فقد روى ياقوت ان أبا العلاء كان ذات يوم في مجلس الشريف فجرى ذكر المتنبي فاستنقصه المرتضى، وجعل يعدد عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن له من الشعر إلا قوله:

«لك يا منازل في القلوب منازل»

لكفاه فضلا، فغضب المرتضى، وامر بسحبه، فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: اتدرون اي شيء اراد الاعمى بذكر هذه القصيدة؟ فان للمتنبي ما هو اجود منها لم يذكرها، فقالوا: النقيب السيد[1] اعرف، فقال اراد قوله في هذه القصيدة:

«واذا أتتك مذمتي من ناقصٍ   فهي الشهادة لي بأني كامل»[2]

وهكذا نلاحظ ان طه حسين لم ياخذ من قصة ابي العلاء شيئا وانما استوحى اسلوب ابي العلاء في الرد على الشريف، ولكنه توسع في هذا الاسلوب حتى بدا وكانه فن بديع، قد خلقه خلقا جديدا.

واما استئذانه من المازني ان (يسرق) من القصة، وقوله له: ان السرقة مباحة في الادب، ولاسيما حين تكون في العلن لا في السر وهي حينئذ أشبه بالسطو، فمن الواضح انه يقصد فيه الى

(١) الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي، ونقيب العلويين.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٢ ١٢٣، ج٣ دار المأمون – سلسلة الموسوعات العربية (د.ت).

التعريض بسرقاته الادبية التي اتهم بها بين حين وآخر، ذلك ان صديقه عبد الرحمن شكري قد اتهمه بسرقة قصائد من مجموعة «الذخيرة الذهبية The Golden Treasury»[1]، وأكد هذه التهمه دارسون آخرون من امثال: عبد الرحمن صدقي[2]، بل ثبت ان المازني قد سرق فصلا من قصة «ابن الطبيعة»، التي ترجمها هو نفسه، ووضعه في قصته «ابراهيم الكاتب» والطريف ان المازني قد اقر بنقل هذا الفصل ولكنه ذهب الى ان ذلك قد حدث دون شعور منه[3]، وهي حجة كان يتذرع دائما بها، كلما جوبه بتهمه السرقة.

وبعد ... فنحن حين نتأمل نقد المازني للتصدير جيدا، نلحظ انه ينطوي على شيء من التناقض، فهو في بدايته يذهب الى انه لم يفهم التصدير، لانه يتضمن كلاما لامحصول وراءه، ولايعرف له رأس من ذنب، لكنه في نهايته نجده يقول: «حملت على طه لاني لم افهم تصديره، لا لانه غير مفهوم، او لايفهم، بل لاني كنت ذاهلا شارد اللب، وآية ذلك اني لم اعرف من هذا التصدير ان الكتاب شعر لانثر، وان كان قد ذكر هذا في غير موضع»[4].

واذن فهو لم يفهم التصدير، لانه كان شارد اللب ذاهلا، فكيف حكم على التصدير مع هذا بأنه لا محصول من ورائه، ولايعرف له راس من ذنب؟ بل كيف بادر في البداية الى رثائه قائلا: لا حول ولا

(١) انظر مقالة عبد الرحمن شكري، انتحال المعاني الشعرية، المقتطف: ص٧٨، عدد يناير ١٩١٧ .
(٢) انظر كتاب الدكتور يسري سلامة «جماعة الديوان»: ٢٧ .
(٣) انظر كتاب أنور الجندي «المعارك الأدبية»: ٦٥٧ - ٦٥٨ .
(٤) المازني، «نقد أسلوب طه حسين»، جريدة البلاغ، عدد ١٩٤٣/٦/٢٥ .

قوة الا بالله: هذا طه حسين يخسره الادب ولاتكسبه الوظيفة؟ ...
المازني عابث في نقده دون ريب، وهذا ما اغاظ طه حسين، فدفعه الى رد سريع، كتبه في اليوم نفسه الذي ظهرت كلمة المازني فيه، ثم نشر في اليوم التالي[1]؛ ولذا جاء يمور بالسخط والانفعال، بل جاء من ردود طه حسين النادرة، التي لم يتورع فيها عن الملاحاة في الحوار، ذلك انه عرّض فيه بسرقات المازني الادبية، ووصفه بانه حاسد له، ما ينفك يثرثر بين حين واخر؛ لانه ينفس عليه مناصبه ومكانته في الدولة، ولاريب ان رده كان عنيفا قاسيا، ولكن الذي خفف من حدة قسوته انه لم يعمد فيه الى المباشرة، وانما لجأ الى اللغز والايماء البعيد، ذلك انه على الرغم من انفعاله وغضبه، قد ظل حريصا كعادته على السمو والارتفاع، وعلى تجنب الإسفاف والركاكة، وكأنه بهذا قد كان حريصا على الاتظهر ملاحاته في الرد للقراء الذين اعتذر لهم بانه عمد الى الابهام، لانه لا يتوجه اليهم هذه المرة، وانما يتوجه الى المازني وحده، ومع انه لجأ في رده الى اسلوب فني، فيلاحظ انه لم يثبت هذا الرد ضمن ردوده النقدية التي حرص على اثباتها في كتبه ونحسب ان سبب هذا يعود الى ان الرد لايدور حول قضية نقدية، وانه فيه - كما قال - لايتوجه الى القراء، وهو الذي يشعر دائما بمسؤوليته النقدية الثقافية الجادة امامهم: وآية ذلك انه في نهاية رده نجده يلفت المازني الى ان المحاورة على نحو ما حدث هي سخف ينبغي الكف عنه، وعدم التورط فيه، ولكن على الرغم مما رأينا بين الناقدين، فيبدو ان ثمة صداقة او مودة كانت تجمع

(١) نشر المازني نقده في صحيفة البلاغ بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥، ونشر رد طه حسين بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٦

بينهما، فالمازني في نقده السابق يصرح بهذا ويعتذر عن نقده بقوله: «ان الادب فوق الصداقة ... وليس من شان النقد الادبي ان يفسد ما بين الصديقين»[1]، ولقد ايده في قضية الشعر الجاهلي، كما هو واضح في مقالة اثبتها في نهاية كتابه «قبض الريح». واما طه حسين فقد ذهب في مقابلة اجريت معه، حين بلغ الثالثة والثمانين الى أن المازني والعقاد كانا له صديقين وقد وازن بينهما فذكر ان العقاد كان اديبا ممتازا غير انه كان جادا في سلوكه قال: «ولكن المازني كان كثير المزاح وكان فيه خفة روح فهو اقرب عندي من العقاد»[2]وفضلا عن هذا فنحن لانجد في كتب طه حسين إلاّ ثناء خالصا على المازني، ويظهر ايضا انه كان يعجب بميزتين في أدبه: الاولى لغوية، وتتعلق بمقدرته على احياء اساليب قديمة، يراها تناسب هذا العصر، قال: «لم يكن المازني - رحمه الله - يتحرج من احياء تلك الاساليب القديمة التي كان يجدها عند عبد القاهر الجرجاني وعند الذين سبقوه من اصحاب النقد والبيان، وكان الناس يقرأون له، ويعجبون به، ويستزيدونه من فنه ذلك، الجديد القديم»[3]. واما الميزة الثانية فتتعلق بالمضمون، ذلك ان المازني في رأيه مثال الاديب الملتزم بين ادباء جيله يلمس هذا في كتبه النقدية والتعليمية، كما يلمس في كتبه التي صور فيها تجاربه الخاصة، ومشكلات المجتمع عامة[4].

(١) المازني، قبض الريح: ٢٥ .
(٢) كمال ملاح، قاهر الظلام، ٢٤٧
(٣) خصام ونقد: ١٨٤ .
(٤) انظر المصدر نفسه: ١٢٢- ١٢٣ .

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصـــــادر:

☆ طه حسين:

١- الأديب الحائر، مجلة الرسالة، العدد٥١، القاهرة، ١٩٣٤ .

٢- إلى الأستاذ توفيق الحكيم، مجلة الرسالة، العدد١١، القاهرة، ١٩٣٣ .

٣- إلى صديقي أحمد أمين، مجلة الرسالة، العدد١٥٣، القاهرة، ١٩٣٦ .

٤- أهل الكهف، مجلة الرسالة، العدد٩، القاهرة، ١٩٣٣ .

٥- الأيام، الجزء الأول، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٦- بين المجلة والقرّاء، مجلة الثقافة، العدد٦، القاهرة، ١٩٣٩ .

٧- تجديد ذكرى أبي العلاء، من دراساته القديمة المجموعة، المجلد الثالث، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤ .

٨- تقليد وتجديد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨

٩- حافظ وشوقي، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٢ .

١٠- حديث الأربعاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢ .

١١- خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٥ .

١٢- رجعة أبي العلاء، مجلة الثقافة، العدد٣، القاهرة، ١٩٣٩ .

١٣- رد على نقد، صحيفة البلاغ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٦، القاهرة.
١٤- فصول في الأدب والنقد، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩
١٥- في الأدب الجاهلي، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩ .
١٦- لاتينيون وسكسونيون، مجلة الرسالة، العدد٢، القاهرة، ١٩٣٣ .
١٧- لاتينيون وسكسونيون، مجلة الرسالة، العدد٣، القاهرة، ١٩٣٣
١٨- مذكرات طه حسين، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧ .
١٩- مستقبل الثقافة في مصر، من المجموعة الكاملة، المجلد التاسع، علم التربية، بيروت، ١٩٧٣ .
٢٠- مقابلة مع جريدة الأهرام، عدد٢٨٢٢، ١٦ مارس، القاهرة، ١٩٦٤ .
٢١- مقابلة مع مجلة العربي، العدد١١، الكويت، ١٩٥٩ .
٢٢- مقدمة مجموعة «ألوان من القصة المصرية»، دار النديم، القاهرة، ١٩٥٦ .
٢٣- مع المتنبي، من دراساته المجموعة، المجلد الثالث، دارالعلم، بيروت، ١٩٧٤ .
٢٤- النقد والطربوش وزجاج النافذة، مجلة الرسالة، العدد٣٨، القاهرة، ١٩٣٤ .
٢٥- وحي الأربعين، مجلة الرسالة، العدد١٠، القاهرة، ١٩٣٣

☆ ابن هشام (أبو محمد عبيدالله جمال الدين بن يوسف) ت: ٧٦١هـ:

٢٦- أوضح المسالك، الجزء الأول، شرح محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦

٢٧- مغني اللبيب، الجزء الثاني، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).

ياقوت الحموي، ت: ٦٢٦هـ:

٢٨- معجم الأدباء، الجزء الثاني، دار المأمون، (د.ت).

ب - المراجـــــع:

☆ أحمد أمين:

٢٩- إلى أخي طه، الرسالة، العدد١٥٢، القاهرة، ١٩٣٦ .

٣٠- كتاب النثر الفني في القرن الرابع، مجلة الرسالة، العدد٣٩، القاهرة، ١٩٣٤ .

☆ الأسد (الدكتور ناصر الدين):

٣١- حول كتاب «في الشعر الجاهلي» مجلة القضاة، السنة التاسعة عشرة، العدد الأول، يناير/يونيو، القاهرة، ١٩٨٦ .

٣٢- ذكرى طه حسين، (بالاشتراك مع كتّاب آخرين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧ .

☆ الأفغاني (سعيــد):

٣٣- إنصافاً لطه حسين، مجلة العربي، العدد٢١٨، الكويت، ١٩٧٧ .

☆ أنيس (الدكتور عبدالعظيم) ومحمود أمين العالم:

٣٤- في الثقافة المصرية، الطبعة الأولى، دار الفكر الجديد، القاهرة، ١٩٥٥

البدراوي، زهران:

٣٥- أسلوب طه حسين في ضوء الدرس الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ . ☆

الجندي (أنور):

٣٦- محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، ١٩٨٤ . ☆

٣٧- المعارك الأدبية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٣ .

☆ جيد (أندريه):

٣٨- الباب المفتوح، ترجمة نزيه الحكيم، دار الهلال، العدد٢٢٩، القاهرة، ١٩٦٨ .

☆ حسين (الدكتور محمد محمد):

٣٩- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الثاني، المطبعة النموذجية، القاهرة، (د.ت).

☆ الحكيم (توفيق):

٤٠- إلى الدكتور طه حسين، الرسالة، العدد١٠، القاهرة، ١٩٣٣ .

٤١- خصومات أدبية، الرسالة، العدد٤٦٢، القاهرة، ١٩٤٢ .

٤٢- خصومة، الرسالة، العدد٥٢، القاهرة، ١٩٣٤ .

٤٣- من توفيق الحكيم إلى طه حسين، الرسالة، العدد١٨، القاهرة، ١٩٣٣ .

☆ خضر (عباس)،

٤٤- هل أنا غبي، مجلة الدوحة، العدد٤٢، الدوحة، ١٩٧٩

☆ دسوقي (الدكتور محمد)،

٤٥- طه حسين يتحدث عن أعلام عصره، الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٨ .

☆ دياب (عبد الحي)،

٤٦- العقاد ناقداً، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ .

☆ الرافعي (مصطفى صادق)،

٤٧- تحت راية القرآن، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦ .

٤٨- الملك فؤاد، الرسالة، العدد١٤٩، القاهرة، ١٩٣٦ .

☆ ابو رية (الشيخ محمود)،

٤٩- رسائل الرافعي، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٠

☆ سامح كريم،

٥٠- معارك طه حسين الأدبية والفكرية، دار القلم، بيروت، (د.ت).

☆ سربية (محمد بديع)،

٥١- حوار مع توفيق الحكيم، الموعد، العدد١٠٩٩، بيروت، ١٩٨٤ .

☆ سلامة (الدكتور يسرى محمد)،

٥٢- جماعة الديوان، مؤسسة الثقافة، الاسكندرية، ١٩٧٧ .

☆ **سوزان طه حسين:**

٥٣- معك، ترجمة بدر الدين عرودكي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ .

☆ **شاكر (محمود محمد):**

٥٤- المتنبي، مجلة المقتطف، الجزء الأول، المجلد٨٨، القاهرة، ١٩٣٦

٥٥- المتنبي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٧

☆ **عاشور (نعمان):**

٥٦- لقاء مع طه حسين، مجلة الدوحة، العدد٥١، الدوحة، ١٩٨٠

☆ **العريان (محمد سعيد):**

٥٧- حياة الرافعي، الطبعة الثالثة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٥ .

☆ **عصفور (الدكتور جابر):**

٥٨- المرايا المتجاورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣

☆ **العقاد، عامر:**

٥٩- معارك العقاد الأدبية، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، صيدا، (د.ت).

☆ **العقاد (عباس محمود):**

٦٠- أبو نواس، المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، المجلد السادس عشر، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠

٦١- دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، (د.ت).

٦٢- الديوان (بالاشتراك مع المازني)، الطبعة الثالثة، دار الشعب، القاهرة، (د.ت).

٦٣- ساعات بين الكتب، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت).

٦٤- طه حسين، مجلة الهلال، الجزء التاسع، السنة ٤٣، عدد يوليه، القاهرة، ١٩٣٥

☆ عمر (نجاح):

٦٥- طه حسين... أيام ومعارك، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، (د.ت).

☆ مبارك (الدكتور زكي):

٦٦- أحمد الله إليك، الرسالة، العدد٣٦٧، ١٥ يوليه، ١٩٤٠ .

٦٧- الحديث شجون، الرسالة، العدد٩، القاهرة، ١٩٤٣ .

٦٨- ديوان ألحان الخلود، دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

٦٩- من زكي مبارك إلى طه حسين، البلاغ، عدد٣٠ مارس، القاهرة، ١٩٣٤ .

٧٠- النثر الفني في القرن الرابع، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ت).

☆ المازني (إبراهيم عبدالقادر):

٧١- قبض الروح، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧١

٧٢- نقد أسلوب طه حسين، البلاغ، عدد يونيه الصادر بتاريخ ٢٥/٦/ ١٩٤٣، القاهرة.

☆ مندور (الدكتور محمد):

٧٣- معارك أدبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٧٤- النقد والنقاد المعاصرون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)

☆ موسى (سلامة):

٧٥- الأدب للشعب، دار سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

٧٦- طه حسين، مجلة الهلال، الجزء الخامس، السنة (٣٢)، القاهرة، ١٩٢٣ .

٧٧- مصطفى صادق الرافعي، دفاع عن المذهب القديم في الأدب، الهلال، السنة الثانية والثلاثون، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٢٣ .

☆ هيكل (الدكتور محمد حسين):

٧٨- من هيكل إلى طه، الرسالة، عدد١١، القاهرة، ١٩٣٣ .

☆ ☆ ☆

* **Bradley, A. C. :**

79- Oxford Lectures on Poetry, London, 1959.

* **Richards, I. A. :**

80- Principles of Literary Criticim, Routledge and Kegan Pautl, London, 1963.

نبذة عن الكاتب
الاستاذ الدكتور توفيق ابو الرب

ولد الدكتور توفيق أبو الرب في بلدة كفرة / قضاء بيسان في فلسطين عام ١٩٤٧م .

* هاجر أهله بعد النكبة إلى مدينة إربد شمال الأردن واستقروا فيها.
* أنهى تعليمه الثانوي في مدرسة حسن كامل الصباح عام ١٩٦٦م .
* حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية .
* حصل على الماجستير في الأدب العربي من جامعة اليرموك .
* حصل على شهادة الدكتوراة في الأدب العربي من الجامعة الأردنية عام ١٩٨٨م .
* عمل مدرسا في مدارس وزارة التربية والتعليم الأردنية ثم مدرسا في كلية حوارة وكلية تأهيل المعلمين العالية .
* عمل أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في جامعة إربد الأهلية.
* صدر له حوالي ١٧ كتابا في الشعر والرواية والنقد ومنها : دراسات في الفلكلور الأردني ، قراءات في الأدب الأردني ، طوبى للمتسلقين ، محاورات طه حسين ،حكايات جندب اليعربي ، حكايات حمدي الإربدي ، أوبريت صرخة القدس .
* الدكتور توفيق شخصية موسوعية فهو أكاديمي وقاص وروائي وشاعر وناقد .
* عضو رابطة الكتاب الأردنيين منذ تأسيسها .
* توفي في إربد عام ٢٠٢١ م .

رحمه الله وغفر له.


ISBN: 978-3-27686-082-0